سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (30)

ديوان المعدري

محمد بن مسعود المعدري السوسي

(1282–1330 هـ/ 1865–1911 م)

(الجزء الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله:

وما الخل الوفي بذا الزمان   سوى مثل السراب لدى العيان

يريك وميض سن في ابتسام   لعمرك إنه سيف يماني

يقلبه فحيث رأى انخداعا   إليه دهاك من غير التواني

ونظم بعض الطلبة:

حقيقة الاقراء تصحيح لمتن وحل مشكل كذاك دون مين

ثم الزيادة عليه ضرر أكثر من نفع كذاك أثروا

وعقب عليه الشيخ محمد بن مسعود بقوله:

والحق أن يعامل المدرس كلا بما لاق به يا قدس

وقال أيضا:

لام العذار بعارضيك موثر كالقوس والجفنان كالسهمين

عجبا على ضعف الفتور فسابقا للروح كالبرقين مكتنفين

وقال:

عشقته أسود لا يتقي بالهجر تعذيبي وسوء البعاد

ما شانه السواد فالعين من نور وما يشينها ذا السواد

وقال:

عرج نقص المحاسن منه فهو كالغصن رض بالحدثان

هو طرف ينبو عن الطرف هبه لم ترده للجري في الميدان

قال انه ينظر في ذلك الى قول ابن سكرة الهاشمي:

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم العيب يحدث في غصون البان

اني أحب حديثه وأريده للنوم لا للجري في الميدان

وقال:

يسألني لم بان عني مغاضبا الا فاعجبوا من انقلاب الحقائق

اقر له بالذنب وهو الذي جنى عسى اجتنى من ورد روض الحدائق

وقال على لسان من شرب كأسا من الأتاي باردا:

اشربها بردا وأرشف من ثغر الحبيب باردا بردا

كي أجمع الشكل الى شكله كأنني أسقى على بردا

وقال:

عجبا أرتجي الدنو فلما أن دنا صار غاية في البعاد

صار أقرب منه من كان في الصين وذا قرب شخصه في ازدياد

وقال:

تحاكم السود والبيض الي ولم يكن لحكمي بهتان ولا زور

فقلت في خال وجنة موردة ذكر من الحق بالسواد مذكور

وقال:

رام انصرافا فقلت ويك هل صرفوا في النحو لفظة ابراهيم أو منعوا

فقال قد نقض الهوى القواعد لا تطمع ومن قبلك العشاق قد طمعوا

وقال مهنئا بولد:

ليهنك بدر بان في طالع السعد وفي الدهر منه بالاماني وبالوعد

فأبقاه من يراه ممتطي المجد ووالده حتى يرى ولد الولد

وقال:

سالم فديتك من هجر لابد يغلب من صبر

لابد يغلب عاشق أن الجفا أدهى أمر

وقال أيضا:

تعالى إلي فالطجين مهيأ   وخبز الحوارى حوله يتلألأ

فقد فاءت النعمى وطاب وريفها   فياسعد من في فيئها يتفيأ

وله يمدح الشيخ الإلغي:

أقول لمن قد شفه الوجد ماتبقى من الروح والعرفان ويحك في إلغ

انخها بنال أحمد فعليهم بأنواره عين الضلالة في دمغ

فلذ بحماه واحتفظ بجنابه لتحفظ من كيد الشياطين والنزغ

تحلى مهذب الخلائق بالتقى تروق كما النضار بالسبك والصوغ

وتصبح في روض المعارف ناترا فؤادك مصبوغ من الحب بالصبغ

فأجابه الشيخ الإلغي بقوله:

أيا طالبا سر المعارف في إلغ فغين السوى عن عين قلبكم إلغ

وداوم على ذكر الاله تر الذي تقر به العينان من كل ما تبقى

وجاهد وراقب ثم شاهد جماله يلوح على الاشياء طرا بلا زيغ

وله فيه أيضا:

يا سيدا أطلعت بالسوس طلعته فاهتز من طرب بل ازدهى تيها

حيتك عني صبا نسيمها أرج تحي به نفس هم كاد يفنيها

يستوهب العبد أن يرعاه خاطركم كيما ينال لدى مولاه تنويها

وله فيه أيضا:

حي ربع الرباب من تحت حصن منجدا زائرا الا وثق حصن

وبوادي العقيق فيه فعرج بالمطايا واعمد الى خير ركن

وأقر عني تحية من مشوق قاده لهواهم كل حسن

وتمل من الجمال ونب عن نازح في استلامك الحازمين

عاقه ان يزورهم سوء حظ وعسى أن يعود وصل لبين

وله فيه أيضا:

إن فاتك القطب ذاك الشاذلي فلذ بذا خليفته الإلغي أبي الحسن

ففز من الله بالرضوان واقتعدن لذروة العز نائيا من المحن

وله فيه أيضا بعد رجوعه من السياحة الأخيرة، أعطاها له في المعدر ثم بقيت في مبيضتها الى أن ظفرنا بها:

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى وترى الهوى وسط المنى متلافا

كيف الحياة بلا شعور القلب من روح الهداية للذي قد سافا؟

فاجعلك من أتباعهم ان شئت أن يحيا فؤادك تنتعش وتلافى

ان الطريقة قد تبلج بدرها في إثره تكشف في القلوب سجافا

من لم يرد من عند منبعها فلا يزل طول حياته مهيافا

مذ ذقت من رشفاتهم أنسيت من بين الأوان قراحها وسلافا

قد تيموني من جمالهم فلا كف تعير لغيرهم اطرافا

فهم فؤادي واللسان وكل ما عندي وما اعتده اطرافا

فهم جمال الكون أجمع لايرى من يراهم غير ما قد عافا

ليس النجاة بكف غيرهم وان نال العلوم وعاشر الاشرافا

فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا الصاد ثم الدال ثم القافا

لاسيما مثل الامام القطب سي دنا أبي الحسن الذي قد صافى

فإليه كل محامدي جمعاء في ها منية القلب الذي قد زافا

وببابه ألقي الرحال لعلني القى القبول لديه والالطافا

وأنا على لسن القريض اريغ ان لايغتدي قولي لديه غرافا

فأنا له حسان مدح دائم متطلب من فضله اتحافا

فليعلم الثقلان اني عبد أه ل الله من قد مولوا عن سافا

أصحاب قطب الكون من في إلغ قد رفع اللواء وأرشد الاطرافا

فيه القريض اذا أقول يلذ لي فاشي اذا ما حكته افوافا

لايحسب الشعراء اني مثلهم القي كلامي في المديح جزافا

فالله يعلم والملائكة الكرا م ومن هم قد البسوا الانصافا

وجميع من قد أبصروا ما كان في إلغ الهدى وعلى سناه اشافا

اني كمن يثني على الدقماء في أمواجها ان تغمر الاسيافا

وكمن يطيل المدح في غيم همى بالغيث حتى أفعم الاكنافا

وكمن يشيد بنور شمس المحفت بضيائها من كونها الاعطافا

هل في البحار وفي الغيوث وفي الشمو س سوى القصور لمن غدا أوصافا؟

اني يحيط بمائها الثجاج وال وهاج من انوارها أوصافا؟

فاذا يكون المدح حقا صادقا فيمن شاى الاخلاف والاسلافا

مثل الامام إمام هذا الجيل من فتح القلوب وزحزح الاصدافا

وأبان هذا الدين صحوا مشرقا متلألأ ببريقه خطافا

وأزاح عن الباب من يلقى ولو عرضا ولو في ساعة أسدافا

وأرى العيون من إلغ نورا ساطعا نحي الظلام عن النهى فتجافى

فالمدح فيمن كان هذا بعض ما فيه قصير مجحف اجحافا

وإن استعار المادحون من الريا ض شمائلا ومناظرا ولطافا

أو من عزيمة باسل متدرع يعلو الوغى ويعانق الاسيافا

ماذاك أجمع ما يؤدى ما هنا ك سوى تخايل تكتسى اليافا

تحكى كما يحكى الصدا من شعبة صوتا لما يجتابها مخطافا

لكن ما قد كان حقا يجتلى بفؤاد من ورد الحمى متافا

مازال مكتتما وليس يراه من لم يغد عند بنى اللوا عرافا

سر من الاسرار يلقيه الاله لمن يشاء فيكتسي الالطافا

وإذا يمس كلام صاحبه القلو ب يفتح الاسماع والانافا

فينيرها نور الهدى فيكون حا ملها لكل العفو ممن عافا

لاسعد الا أن تكون نظيرهم ان تبغ من خلافك الاتحافا

يا من به عاد الفؤاد لا منه من بعد أن ذاق الجسم وعافا

لك مايفوق حقوق من نجلا وقد نحيت عن قلب العبيد غلافا

أنقذت من سنة تمدى سجفها زمنا طويلا سمت فيه تلافا

وأملت من رسني الى جهة الهدى وأريتني كيف الهدى اشرافا

فبأي شكر يلتقي من كان من جرف الغواية والضلال تلافى

من لم يفق لم يدر ما غفلاته وان ارتقى العلماء والاشراف

ما أغفل المستدمنين هواهم وان ادعوا وتنكبوا الانصافا

لكنه هيهات ان يستيقظوا ما لم يلاقوا واعظا لطافا

يضع الهناء مواضع النقب التي كانت لكل مضرة أهدافا

مثل الامام اما هنا من دأبه وعظ الورى فيعلق الاشنافا

خواض كل تنوفة ركاب أك ل هواجر في عمره الافا

ما قصده الا انتشال الغافلي ن وهزه بعظاته الاكتافا

كم من جهول غافل في أهله جعل الهوى في جانبيه سلافا

لم يدر كيف الرشد أو كيف الهدى ضخم الكرداس الايميد معافى

سبقت سعادته فقيد لداره شيخ المشايخ حاملا ألطافا

فيسميه رغما دواء شافيا والطب يغدو تارة عنافا

من يأب تطبيب العياء بجنبه يبصر طبيب عيانه كتافا

فإذا بذاك الغفل عاد كأنه ما قط عاشر همدا اجلافا

أدر العيون تر الالوف وكلهم من هؤلاء تحولوا أشرافا

عادوا رؤوس الدين بين هداته من بعد أن كانوا هم الاظلافا

هذي يد الفية تسدى الى الاقوام تهدى منهم أصنافا

كل ينزل في منازله ينا ول من ثمار نظيره أقطافا

هذا يرى الفردوس منزله وذا ك يرى له من دونه الاعرافا

والكل راض والمقاصد واحد ما ان ترى في المرعات عجافا

فتراهم زمرا اذا ما يرضعوا ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هيما لم يص در كلهم من جانبيه سلافا

الله أكبر هكذا كنا سمع نا عن مشايخ هذبوا الاسلافا

كالشاذلي ونجله المرسي ان صلا الفؤاد وساوماه ثقافا

لكن يفوقهما الامام الشيخ قطب الوقت في اقصاده الاهدافا

بعزيمة فعالة قوالة نهاضة مثل البروق الافا

يلج البيوت على بني الغفلات رغما ثم يكشف عنهم الاسجافا

فيريهم نهجا الى خلافهم لقما قويما لايرى اخلافا

هذي المفاخر لا مفاخر قصعة قد كللت بسديفها أطرافا

يا أيها الشيخ الذي فخرت به سفن السعادة لأنني اجدافا

دم للطريقة قائدا في رتبة عليا تربي الفرش والصفصافا

وعليك مني يا إمام تحية مم حباك الفضل والاتحافا

وارع العبيد القدم من بعد لكي يسقى بكأس محبة فيصافي

وله كذلك هذه القصيدة، فقد أرسلها الى الشيخ في مرضته التي توفي فيها، وقد سمع بأنه أبل من مرضته:

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد فقد عاد منه للعلا البخت والمجد

ولاح لها من نور وجهك نورها وزال بها من برئك البؤس والجهد

لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى مكارمها ما لايظن له هد

بشكواك يا فرد الوجود وزعزعت حلوم قروم دونها الشامخ الطود

مرضت فامرضت القلوب وحل في سويدائها ما انشق من حمله الصلد

وخلنا قوام الدين قد حان حينه غداة راينا قطبه هزة الميد

فحمدا لمن بالبرء رد حياته فتنبلج البشرى وينكشف النكد

وءاض الى افراحه كل مشهد من الخير واحلولى لراشفه الشهد

غدوت معافى يا إمام فعوفيت مكارم قد أشفت وساومها الفقد

وعاد ابتسام مستطاب مؤشر الى فئة الايمان فالشكر والحمد

ففي اليوم عاد الجو أبيض مشرقا وزال ظلام النحس وانبلج السعد

وعاد القرار بعد طول تسهد الى نظرات طالما مضها السهد

فهذي عيون الناس يغمرها الكرى وقد أمنت وارتاح بالراقد المهد

وأصبح في تلك المعالم نافح من الانس طال عن نوافحه العهد

فما شئت من قوت القلوب تجيش من ينابيعه الامداد ما أن لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا نها الحب والتوفيق والشكر والزهد

وما شئت من حب النبي وصحبه وشرعته حبا يضوع به الند

وما شئت من روح يروح عن فؤا د صب به اشفى على لحده الوجد

وما شئت من ريحان نور يرف في ملابس بهجات تغار لها هند

وما شئت من معنى شهود يريك في مجال الكمال الحق ما دونه بعد

كذا فلتطب أعمار زهر تأرجت بطيب شذاهم التهائم والنجد

بهم يحتمي من سامه الدهر خسفه فبورك عزا دونه الابلق الفرد

حمى الله لاجوار جار أبي دؤا د لايستبيح جاره الدهر من يعدو

بهم في دجنات النوائب يلتجي ضعيف على الخذلان اعوزه الايد

بهم تنجلي الحوباء والخزي والردى بهم تبلغ المنى، بهم يقتفى الرشد

لهم همم تفري الطباق وترتقي الى العرش تحت بطشها الملك والجند

هم أسرتي ونصرتي وبعزهم أصول على دهر به تهضم الاسد

وهم مقنبي وفيلقي ومقاولي وفخري إذا الناس المفاخر قد عدوا

وهم كرشي وعيبتي وبحبهم غنيت، ولكنز النطف يفنى له العد

فيا عاذلي كن عاذري في تولهي بسر جمال من أشعتهم يبدو

أخالك مختل المزاج وكيف لا يهيجك نور الحق ما دونه صد

فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من الـ زمان ففوت العمر ليس له رد

ولا تغترر بالدهر يوسعك الجدى هنيئا فان السم يودعه الشهد

فما قر قارون على كنزه ولا ا ب ن جدعان بل أودى بجفنته الاد

وغال نديم الفرقدين من اغترا ره الرأي لم تلبس له الادرع السرد

فقبحا وشقحا للمفتن تطبيب ه زهرة فان وجد رقراقة فقد

وراقب على مدى الزمان الاله واح تفظ بالتقى والعلم ما فوقه مجد

تهاونت بالانفاس وهي نفيسة وفي غفلة عما يراد له العبد

فلا تحقرن في الشر نزرا فداحس بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد

وحاذر وان أركبت عزا ممنعا مصارع بغي هزلها في الورى جد

فكم كان من جرا تهور ناطق هلاك امرئ ينماع من بطشه الفهد

فذا عروة الرجال عارضه البرا ض بالفتك دون أن يتم له الوعد

أراد إجازة اللطيمة ذمة على الشيح والقيصوم فاغتاله الكيد

وما خاله بالخفر يجسر ضلة عليه ومن يحقر فلا بد أن يعدو

ألم بأقداح فأوغر صدره عليه وقد يستهون الفاتك الجلد

ومن يعتصم بلبه لايخاف من مزلة أقوال يضيق بها القصد

ولكن نابذا من ثم يعنك على الهدى فهم بهرج يبدو إذا سبر النقد

وسر في محجات الصواب منكبا عن الغي لاتحفل وان عذلت دعد

فهذا إمام لا تكدر بحره الـ دلاء ولم يخب لرائده قصد

يجود على الالباب من نوره كما يذود من الاكدار ما ان له حد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها يحل بإذن الله ما أبرم الشد

ينسي ابن سعد جوده وابن مامة نعم قطرة من سيبه دونها الجود

يشابه في الحلم ليس بن عاصم والاحنف حيث الغيظ في جمر موقد

هي الشمس ما من دونها السحب يهتدي بها سالك البيضاء جد به الجد

هو المورد العذب الذي لايشوبه من الرنق التنفيص, يا حبذا الورد

هو الجنة التي متى ما أوى لها الـ مروع لم يستمه ناب ولآحد

هو الكعبة التي متى على كل ضامر الى غيثها الهطال ينتجع الوفد

يفوت القريض حصر عليا صفاته ولكنها كالدر ضمنه العقد

تطيب به أوقاتنا ويمدنا بتعدادها من طيب أنفاسه المد

ومن نعته من نعت مولاه كيف لي بتوصيفه والعقل يعجزه الحد

فيأيها الشيخ الذي بشفائه تراجعت الآمال وانتعش المجد

كأنك روح الكون بل انت روحه فمنك له المحيا يراوح أو يغدو

فما نحن هنانا الامام وإنما نهني به الاسلام حق له الحمد

على ان بقيت في حبور بمتعة بها بهجة العرفان تم لها العود

فمد الإله عن إفاضة نعمة لكم عمرا ينمو به للورى الرفد

وتنبع منه كل عين بمشرق وغرب بها الوراد يغمرهم ورد

فما أنت إلا الفرد تقصر دونه عبارات من أمداحه حولكم تشدو

لئن سوغوا في المدح قول مبالغ يسيح له من فوق ممدوحه هد

فأنت سموت المدح من كل قائل بليغ فما من جزر تقصيره بد

لعمري لئن أطرى يزيد بن مزيد صريع الغواني واللهى رشحها الحمد

وأغرب بل أربى على كل شاعر أبو الطيب الجعفي يقتاده الجد

فجاء بني حمدان من نفثاته مرصع تاج ليس يصدأ والعقد

وأسدى لكافور ثناء مخلقا تطيب به في روضة اللسن الحلد

فأنت أحق بالقصائد ينتقى لها الماس والياقوت والسلك والنضد

أحق لعمري بالمدائح فوق ما يحوك ابن أوس حين فصحه الرفد

لئن كسبوا في مدحهم كل طائل ففي مدحك الطول الذي ما له حد

فما أنت إلا الروح والروح علمها كما هي عند من هو الصمد الفرد

كسوت جميع العصر حلة همة منمنمة أرقامها العزم والجد

فكل الألى قد أبصروك تنيلهم مداركك ذوق خالص ما له ند

فكم قرية ماتت فأحييتها بما تفجره فيها مواعظك المد

تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا بنور الهدى والشح يكنسه الزهد

فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى يديك، وتوفيق الاله لها يحدو

كذلك يكون الفخر بالرشد عند من يربون يعلوهم من العصمة البند

وما عصمة الصوفي إلا احتفاظه على النفس الغالي فيكنفه السعد

ففي كل قطر كان مشرق سعده وإلغ لنا في عصرنا أشرق السعد

بقيت لهذا الدين تحمي ذماره بسطوة شهم دونه الاسد الورد

وأزكى سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد

على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز أفنانه المجد

ثم كتب ابن مسعود تحتها: تم تبييضها في آخر يوم من ذي الحجة الحرام عام 1328 ه عرفنا الله خير الدهور، ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبي كان الله له وليا آمين.

أقول: أن القصيدة إذن بيضها قائلها في اليوم التالي ليوم وفاة الشيخ التي كانت في 28 من ذي الحجة وفي آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة الشيخ رحمه الله.

وقال فيه أيضا:

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع

يؤم الامام الاوحد المرتضى الذي به رونق الهدى لمحياه راجع

أبا الحسن ابن أحمد الاحمدي الرضا ومن نوره في الكون روح وساطع

فلله قطر زانه منك طلعة تضيء بها الدجا كما البدر طالع

ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من أهل الفضائل ناصع

يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع

يرجي حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع

فمنوا بنفحة تهب ولحظة تسر وتفني من له العمر ضائع

وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع

بقيتم لأهل الدين روحا وملجأ وكهفا به نجاة من هو فازع

وأزكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق في الجو ضائع

وقال فيه أيضا:

لئن سوغوا في المدح قول مبالغ يسيح له من حول ممدوحه مد

فأنت سموت الحمد من كل قائل بليغ فما من جزر تقصيره بد

لعمري لئن أطرى يزيد بن مزيد صريع الغواني واللها رشحها الحمد

وأغرب بل أربى على كل شاعر أبو الطيب الجعفي يقتاده الجد

فجاء بني حمدان من نفثاته مرصع تاج ليس يصدأ والعقد

وأسدى لكافور ثناء مُخلقا تطيب به في روضة اللسن الحلد

فأنت أحق بالقصائد ينتقى لها الماس والياقوت والسلك والنضد

أحق لعمري بالمدائح فوق ما يحوك ابن أوس حين فصحه الرفد

لئن كسبوا في مدحهم كل طائل ففي مدحك الطول الذي ما له حد

وله أيضا يخاطب أصحاب الشيخ من المتجردين:

يا سادتي الغر العظام الشان السالكين محجة العرفان

أصحاب عارف عصرنا الإلغي أبي ال حسن ابن أحمد نخبة الاعيان

هبت على أشباحكم وقلوبكم أرواح نفح تحية الرضوان

منوا بدعوة صادق متوجه متطارح في عتبة الحنان

للعبد بالتوب الصحيح مع الخفا ز من المهالك وامتطا الاحسان

فالعبد محسوب على أبوابكم عار عليكم ضيعة الجيران

رسالة من الأستاذ مبارك إلى الأستاذ ابن مسعود مع جوابه إليه:

الفقيه الكبير وارث سر سلفه الشهير، أخونا وابن شيخنا سيدي محمد بن مسعود، على حضرة سيدي سلام طيب عطر أما بعد:

فحاجتي ان تعير لأخيك إذا تيسرت صفحة للرق أبغيها

أو الكراس جميعا انها منن إلى اخيك الصحيح الود تهديها

والسلام.

فأجابه:

وعلى الأخ الفقيه البركة سيدي مبارك بن همو التاجاريفتي أفضل ما منه إلينا من أعطر السلام

أما بعد:

فخذ إليك التي تبغي بغير إعا رة لجنبك بل إليك اهديها

لأمال يقسم فيما بيننا فجميع الح اج مقضية ما دمت تبغيها

وردت عودا له طيب بمجمرة بيضاء عندك اما كنت تذكيها

لكن مثلك تكفيه الخلال له طيبة منك حين الخلق يفشيها

وادع لصنوك بالعفو الجميل من ال رحمان دعوتك التي تصفيها

والسلام.

وقال أيضا:

ليهنكم يا آل "إلغ" مفاخر فخرتم بها ما بين غرب إلى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق

فابقاكم للعلم والفضل والهدى إلاه حباكم في العلا قصب السبق

وقال ايضا:

حي ربع الرباب من تحت حصن منجدا زائرا لأوثق حصن

وبوادي العقيق فيه فعرج بالمطايا واعمد الى خير ركن

واقرأ عني تحية من مشوق   قاده لهواهم كل حين

عاقه أن يزورهم سوء حظ   وعسى أن يعود وصل لبين

ومن أمداح ابن مسعود في الشيخ الإلغي:

باكر بها لمرابع الزهراء   تلق المنى بالقاعة الوعساء

واجل بمسرحها الفسيح الطرف وام   رح ناعما بتواصل السراء

أتخالني كلفا بغزلان التقى او وصل كل خريدة غيداء

حسبي هوى فئة تظن وجوههم زهر النجوم تضيء في الظلماء

نور السرائر في السرة لائح وهداية من عارف الغبراء

جلى مرايا القوم صيقل حكمة وهداية من عارف الغبراء

الشيخ قطب العصر سيدنا ابي ال حسن بن أحمد فارس الهيجاء

ياكعبة يأوي لساحة برها أهل القلوب وجلة العظماء

ياروضة من جنة بل حضرة تنسي نعيم الخلد بالالاء

يانجعة المرتاد يانور البلا د وملجأ الملهوف في الحوباء

طال التقاعد والتكاسل بالفتى فسعى لبابك سيد الكرماء

قصدي من الكرم العريض إغاثة بتخلص من كربة اللاواء

برحيل هذا القلب عن كدر العوا ئد والحظوظ وغفلة القرناء

وتعلق بالله في الأحوال وال جمع الجزيل لمعضل الأدواء

انت الملاذ ومن يلوذ ببابك احتمى في دهره من فادح الاسواء

انت المعز لمن هواه هوى به لهضيمة الأرجاس والارجاء

أنت الطبيب لكل من جنحت به نفس تبوء به الى الرمضاء

أنت الممد بنظرة يرقى بها قلب الحصيص لهمة قعساء

أنت المنفس كربة المكروب يل هب قلبه بشماتة الأعداء

أنت المسود والمتوج ناج أه ل الله باب مصادر الأشياء

أنت الخليفة عن رسول الله ما تهواه ينفذ دون ما إبطاء

انا غرس نعمة سادتي فليدركوا بالسقي حفظ صنيعة وذماء

حاشاكم ياسادتي ونداكم يزري بفيض البحر والانواء

حاشاكم حاشاكم ان يحرم ال مضطر من منن لكم بيضاء

والجاه أعظم والعوارف جمة والعبد عبدك رافع الحوجاء

لولاكم ماكان يطمع في الندا عود نموه فواضل الآلاء

أو لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ما الحق العرجاء بالوجناء

حييت بنورك شرعة التوحيد وأن تسخ الظلام بغرة وضياء

وأقمت سوق العشق بعد كسادها فغدا بتاجرها رباح زكاء

وعمرتها حللا يفوح بها من ال إحسان والعرفان ريح كباء

ويح الجهول اما كفاه تبجر ال أمي يصحبكم كما الحكماء

وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء

هاذي عجالة راكض ناداه دا عي الحب للتغريد والإنشاء

وإليكها شيخ المشايخ ترتدي حلل الحياء تميس كالحسناء

بنت السبيل على كلال قريحة مقروحة تبغي جزيل حباء

فإن ازدهرت مما حوت من نشر طي ب سنائها بصفاتك العلياء

فمن اطباه جمال بركم فلا عجبا ولا تكليف بعد فناء

لازال جودك وابلا ينهل لل عافين بالالطاف والنعماء

وله فيه أيضا:

قفا بالمطي في اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان

وأما بها صوت الحبيب مرابعا سقتها غوادي الحزن من سح هتان

بها نشر النسيم من كل نفحة يغار لها نضير زهر وريحان

منازل من أهوى منازل للصفا نسيت بها فردوس حور وولدان

إذا ما صبا نجد سرت نسماتها تحلي بها لبي وروحي وجثماني

وان غرد القمري في غصن ايكة أثار بلابلي بتغريد الحان

أكاتم شان الوجد ثم يبثه من الدمع غرب ذو سكوب وتهتان

وتروى أحاديث الهوى ورعيله فتهتاج لوعتي بجيران غسان

وإني لأستحلي أذكارهم وما أزيد به إلا صبابة هيمان

ولو ان ما الاضلاع مني تكنه برضوي لذاب من حرارة أشجان

وما شاقني وصل الغواني ولاهمت دموع محاجري لفرقة خلان

تجمعت الأهواء في حب من غدت محاسنه في العصر زينة اكوان

وذاك إمام الدين من شهدت له معالي الهوى ان ماله من ثان

أبو الحسن ابن احمد الغوث من بدت فضائله كالشمس في سطح وبرهان

أبان دقائق الحقائق فاهتدت إليها النهى من حسن لفظ وتبيان

وجلي بما حلى به كل مسمع من الدر ما أنسى جواهر تيجان

أفاد وهذب القلوب فأصبحت كزهر النجوم زانها حسن إيقان

مجالسه رياض جنة أزلفت تدار بها مدام حب وعرفان

وينقع من أنهارها كل غلة بها سلسبيل لاحميم ولا آن

وفيها شفاء كل قلب مكدر ضليل عن الخيرات في الأرض حيران

نتيجة خلوة مع الله جليت طرائفها لكل غرثان صديان

فما شئت من معنى لطيف وحكمة منضدة تزهو على عقد مرجان

ومن مدد يسري بنور محبة كما سرت الصهباء في عقل نشوان

ويرقى به من سفل فرق مشتت لاوج فناء الجمع منزل إحسان

ومن كلمات يفلق الصم وعظها ينيب بها لله كم من فتى جان

فيصبح من بعد الغواية واضح ال زهادة موسوما ببهجة إيمان

على قدم التجريد للحق سالكا بعزم وصدق في تبتل رهبان

وعلم وإيثار بمال ومهجة وحزم وجد عن بصيرة يقظان

على سنن العلم القويم لحجة بها سلك الهداة من كل رباني

أناس من التوحيد صيغت نفوسهم فتراهم سر التوحيد في شخص إنسان

هم الأنجم الزهر السواطع للعلا إما في انبلاج الصبح احسن عنوان؟

هم القادة الأخيار شم جحاجح هم السادة الأبرار من غير اعيان

لهم في السهول والنجود مواطن عطرن بذكر الله من بعد انتان

هم القوم لايشقى جليسهم ومن فيوضهم يحظى بما فوق حسبان

هناك الهلال موذن بتمامه وللشبل شبه من غضنفر خفان

أشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ أماجد يا فرد الندى طود اقران

خلفت الإمام الشاذلي بهديه كما خلف الصديق مفخر عدنان

وأحييت من رسم الطريقة ما عفا وشيدتها صرحا بأوثق أركان

وشرفت من تلك البقاع معاقلا غدت كعبة للفضل من بين اوطان

طلعت بها سعد السعود وزهره وهل شرف الأوطان إلا بقطان؟

ليهنأ بلاد الغرب إنك ناشئ بها فلها فخار فضل ورجحان

تطفلت بالقريض أبغي امتداحكم وهل برمال عالج طوق حسبان

ولو مدلي في الباع سيرت نحوكم على نفس النسيم امداح حسان

ولكنها الأقدار تعدل بالفتى عن القصد والمجدود من ليس بالواني

أهم بامر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والغرض الداني

بقيت لأهل الدين روحا تمدهم بنور من السر المؤيد صمداني

وأزكى سلام طيب النشر فائح عليك به ينهل وابل رضوان

وله فيه أيضا:

يا سيدا من نوره الوضاح بسمت مطلعه من الأفراح

زانت بك الأيام غرة اهتدت بجبينها الاعلام كالاصباح

الف التحايا من الهلك يغتدى ويروح تحمله صبا الارواح

تسقى نديم الروح في نادي الندى صرفا بلا مزج رحيق الراح

تزداد منه معارفا ولطائفا ومواهبا من ربك الفتاح

ماذا يعد الشعر من شرف ومن مجد خصصت به من المداح

هبني بسطت القول او صغت الن جوم قلائدا لنفائس الامداح

من لي بعشر العشر من اوصافك ال غر التي استغنت عن الايضاح

فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به فيما يروم بضاعة الافصاح

ضاقت به سبل الكلام وضاق وق ت الكتب من عجل عن استفتاح

لازلت شمس الدين صيب رحمة تحيي به الأرواح كالاشباح

وله أيضا يخاطب أصحاب الشيخ:

أسادتنا صحب الإمام الرضا القطب أبي الحسن الإلغي ياسلوة القلب

سلام عليكم من محبين ان نات بهم دارهم فالجمع في وحدة الحب

وينهون انهم لفرط تشوق إليكم كما الظمآن للبارد العذب
فمنوا تفضلا عليهم بزورة تزيد بها صبابة الهائم الصب
بقيتم نجوما للهدى بسناتكم تزاح غشاوة الخطوب عن اللب

وله فيه أيضا:

ليهنكم يا آل إلغ مفاخر فخرتم بها من بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق

فأبقاكم للعلم والفضل والهدى إله حباكم في العلا قصب السبق

وله فيه أيضا:

نسمات الرضا وروح سلام تهتدي دائما لمفخر إلغ

شيخنا الأوحد الهمام إمام ال عصر قماع كل غي وزيغ

شاذلي الزمان روح الكمالا ت ومحيي الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا:

سقى الله الحمى من تحت حصن غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الأماجد كل ندب وركن في النوائب أي ركن

هناك أحبة يسلو فؤادي   بذكرهم فيجلي الكرب عني

وهم روحي وريحاني وأنسي   وجنة بهجتي وجلاء حزني

فلا برحت مرابعهم رياضا   بساحتها ثمار الوصل نجني

وله فيه أيضا:

تلك شمس القلوب بانت فتاهو   ام سبي اللب سمع قول الفتى (هو)

علاني فالاسم عين المسمى   بحديث من طاح عنه سواه

وتلاشى بنوره كل شيء   صار عيني إذا أنا إياه

ياعريبا هم الكرام أصيخوا   لعبيد يهدي إليكم ثناه

بلسان عن حضرة القدس ينشي   منكم وإليكم منتهاه

ارحموا العبد منة واقبلوه   فهو ضيف لكم وفكوا عناه

ياعلي بن احمد من به قد طاب سوس وذكره وسناه

وتعطر غربنا بشذاه   وبانواره استنار دجاه

يا إماما قوت القلوب واحي   اء المعارف من مفاض نداه

لاه در السعيد شيخكم قد   طب فرعا وطاب أصل جناه

عارف الر عارف وشموس   نخبة الشاذلي طاب لراه

ان في القول لاتساعا ولكن   لات حين حين استقصائنا أدناه

فعليكم تحية وسلام   يعبق الكون دائما من شذاه

ان في القول لاتساعا ولكن   لات حين استقصائنا أدناه

فعليكم تحية وسلام   يعبق الكون دائما من شذاه

وأجاب عن نازلة. يستوضح منه الحق. أهو موافقه لرأيه فيها أم لا؟ فأجابه الاستاذ ضمن الرسالة التي بين له فيها في النازلة بأبيات نصها:

أهم ما على الفقير ذكر وعزلة تنير

وان أبى تركه أهل الخصام في سعير

والاشتغال بالفتا وي قيل ذا من الغرور

أتحفنا الله جميعا بحبور وسرور

وبانقطاع واتصا ل وانشراح في الصدور

ومن رسالة أرسلها الى الفقيه محمد بن أحمد أوعامو التزنيتي، جوابا عن كتاب أهداه إليه المترجم نصها:

أخونا في الله تعالى. الفقيه سيدي محمد بن أحمد أوعامو التزنيتي كان الله لنا ولكم. وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. تعم جميع أحوالكم. هذا. وقد وصل ما بعثت به من جزء (شرح المنار) فالله تعالى يتقبل منك. ويثيبك على ذلك أتم العرفان. وأكمل الرضوان. وعافية

الدارين آمين ولاتعد الى مثل ذلك. فإن الكتب آلة يستعين بها كل أحد. وإن قدرت على مذاكرة مع بعض من له رغبة في ذلك. فهو خير من تعطيل الوقت. والعلم يزداد بأمرين. إستقامة على طريق السنة النبوية. ومذاكرة مع صفاء أهل الطوية. والمذاكرة في الدار. وفي سقيف مسجد "أيت محمد" في شيء من الحديث النبوي. والفروع الفقهية على الاتصال والدوام. خير من تضييع الوقت. والاستخارة في جميع الامور سباحة الخيرات. كان الله لنا ولكم. وسددنا وألطف بنا ظاهرا وباطنا. آمين والسلام.

وقال في تعزية:

رباب الرضا استهل منك بمدرار على جدث للعلم ضم بإكرار

ضريح أبي زيد ابن عالم عصره أبي سالم أكرم بعنصر أبرار

ضريح مروءة وفضل وسؤدد وخلق يغار منه نافح أعطار

يهون وجد الواجدين عليه بل يهنئكم من نجله خلف أخيار

محمد الارضي النجيب محقق ذكي أصيل البحث كشاف أغوار

والازال وفار الفضائل كامل السن عادة ملحوظا بتنقيح أفكار

بديع زكي الدين تاج كماله يحلى بأنصاف وتحقيق أنظار

أعزيك لا لغير حق مؤكد ولا سيما امتثال مأثور آثار

فانك أنت راسخ الدين في غنى بجدك عن تذكير مثلي واذكاري

فان حالت الاقدار عن أن أزوركم فودك يغني عن تكلف أعذار

بقيت صميم الدين عن كل بدعة محوطا بفضل الله من شر أغيار

وأزكى سلام طيب متضرع عليك كما نم النسيم بأزهار

وكان سيدي مسعود انقطع عن مواسم "إلغ" منذ التحق بمدرسة "السعادات" ثم لم يعد الى الحضور فيها إلا بعد 1365 ه حتى منعه الكبر يوم خلع العمائم الثلاث، وسبب انقطاعه عن "إلغ" والشيخ لايزال حيا كتب عليه العلامة سيدي محمد بن مسعود عن أمر سيدي سعيد التناني ما يلي:

أخونا في الله تعالى، الفقير الصادق. المحب الوامق. أبو السعادات سيدي مسعود بن العياشي الشياظمي. كان الله لنا ولكم. وسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته. من أخيكم في الله الفقير

الى الله سعيد بن محمد التناني. أخذ الله بيده. ولا زائد بحمد الله الا خير. وموجبه ارادة تجديد العهد بكم. وأخباركم بما نحن عليه، كي يتجدد بذلك معناكم وأنسكم، من نظرات القلب الى مشرب الصفاء. ومحل الوفاء. حضرة أهل الله الذين إذا رؤوا ذكر الله. فسيدنا الشيخ رضي الله عنه بخير. كما تحبون. وقد ساح الى مراكش المحروسة والسويرة وأحوازها في هذا العام من مبدئه. ورجع بسلامة وعافية بحمد الله. وقد طالت غيبتكم عن الشيخ وعن سادتنا الفقراء. وما نحب لكم الانقطاع عن تلك المشاهد التي هي أبواب لعزة الرحمن:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الايام منصورا

وقد ذكرناكم أنا وبعض الاخوان -يعني الكاتب ابن مسعود نفسه- وذكرنا ما سمعناه عنكم بأنكم اشتغلتم بالبناء تتأهبون للتزوج. فندبت الأخ المذكور لتنبيهكم بما حضره من الابيات. عسى القلب ينجذب بما ألفه من ذلك النمط الى سالف الخيرات. فكتب في ذلك:

مسعود لازلت في الخيرات مرتضعا ثدي المعارف عياش بن عياش
تقتات من نورها قوت القلوب وتمشي برفع الحجاب نشوة الناشي
مسعود لاتنس أسباب السعادة إذ وافتك ينزاح منها الكدر الغاشي

مالك في فترة أنستك أندية للوصل غاب بها الرقيب والواشي

تستبدلون بروض جنة زهرت أنوارها غمما ينتابها العاشي

وكتب في ذلك المعنى أيضا:

مسعود لا تله عن سر العزيز اذا ما ذقته نلت عزا خالد الأبد

وصرت لا أنت بل مائم غيرك يا ياما أحيلى مدام حضرة الاحد

مسعود يدعوك منك الحق هب ولا تضع جواهر عمر منك في كبد

فاخلع نعالا من الاغيار وانح الى حضرة قدس وصاحب فتية الرشد

مسعود أسعدك المولى أتامل في نهج المحبة في أمن بلا نكد

مسعود ويحك لا تترك لزخرف ما يفنى وفي طيه الاكدار بالرصد

واختر فديتك مايبقى وماهو الا الل ه فاغنم سعود الوقت عن بلد

مسعود لو قطرة ذيقت نسيت بها خمر الجنان وكل العيش ذا رغد

فاعمد بعزمك للشرب الهنيء ولا تجنح الى فتنة الاموال والولد

وانهض بعلياء همة إليه ولا تخلد لأرض الهوى وارحل الى الصمد

لايستوي القاعدون والمجاهد في سبل السعادة لا تغتر بالفند

اني نصحتك هبني ما انتصحت فان لم تصغ تندم عليها آخر الامد

في "إلغ" ويحك نور الحق فاغن به دهرا ومت موتة تحيا الى الابد

مغتسل بارد ينقيك من درن ومشرب طاهر يرويك في الخلد

أكرم به من رحيق صرفه سكر يرقي أريكة ملك جنة الخلد

فالله يقسم لي من فضله ولكم من ذاك أوفر حظ فائت العدد

والأخ المذكور يسلم عليكم كبقية السادة الفقراء. وعلى من هناك من الاخوان . أصلح الله للجميع كل شأن. آمين. والسلام يعود عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وكتب في أواخر ربيع الثاني 1327 ه.

وخاطب القائد سعيد الكيلولي بقوله:

أسيدنا الخليفة المرتضى البحرا ودرة هذا الملك قلدها نحرا

سعيد بن أحمد السعيد الرضى البرا مذل عتاة سوسنا السهل والوعرا

حبتك المعالي المجد والعز والفخرا ولاقيت في العقبى المثوبة والذخرا

ولا زال منهلا بصيب رحمة على ربعك السلام والروح والبشرا

أتتك على الرغم السعادة اذ وفى بها طالع السعود عن عجل تترى

ومكنك العزيز في الارض باسطا على بابك الآمال فاغتنم الشكرا

وهذا ضعيف جاء يهدي مدائحا يؤمل من عليائك العرف والبرا

وما ذاك الا فك عان جرت به ال مقادير في "تزنيت" قد كابد الاسرا

وذلك قد جرى به سيل فتنة حوى شؤمها العاصي في الناس والبرا

وكان له أخ منا لدينا مجاور برسم ابتغاء العلم من نجبا القرا

ومن خاصة الاصحاب والعلم شأنه عزيز عليكم ان عرفتم له قدرا

وكان الذي في السجن يكفيه ما أهم ه من أمور تشغل البال والفكرا

كما كان للمحبوس حق تعلم ال قرآن وهذا الحق أعظم به قدرا

وكانا جميعا قبل في حرمة الوقا ر من سلف أبقت له الحرمة الذكرا

وكانا من الانصار من جاء في الحدي ث أمر بعفو عن مسيئهم وزرا

وهذا على فرض الاساءة والذي يظن بأهل الخير أن يكسبوا الخيرا

ولم يدخلا مداخل الشر بل هما بغيضان فيمن يطلب البغي والشرا

من الفئة المستضعفين ولو رأوا سبيلا لبانوا عن مواطنهم هجرا

وفي مثلهم قد جاء في الذكر انه تعالى اسمه من ضعفهم قبل العذرا

وذاك اذا ما هاجروا نحو يثرب ومكة قبل فتحها استوطنوا دهرا

وسيدنا أولى بعفو محمد عليه صلاة الله ما بدت الشعرى

بقيت تخلد المكارم وافى ال مجادة محفوظا بدينا وفي الاخرى

وكتب من رسالة الى نائبه في المدرسة الفقيه الحسن التناني:

أخانا في الله تعالى الفقيه النزيه سيدي الحسن التناني. كان الله لنا وله. وسلام عليه وتوابعه. هذا ونسألكم صالح الدعاء، ثم أن حملته طلبة "ايداوزيكي" ورفيقهم ولد سيدي الحاج عبد الله التناني. فتش لهم عن مفاتيح ما كان خاويا من بيوت المدرسة. واضرب القرعة بينهم فيما وجد من البيوت. لئلا يجدوا في أنفسهم، ويظنوا تفضيل بعض على بعض. وراعهم في المئونة حتى يطمئنوا. وذلك بأن تدعوهم الى الغداء بعض على بعض. وراعهم في المئونة حتى يطمئنوا. وذلك بأن

تدعوهم الى الغداء والى العشاء. حتى تطحن لكل واحد منهم ما يكفيه. وتضع في في بيته من الشعير. فإذا انتظم أمر طعام القبيلة فاعمل في حقهم بحسبه. وان اختل فادفع اليهم المحتاج والكفاية أبدا. حتى يفعل الله ما يشاء. والله يكون لنا ولكم والسلام. ثم قال: والطلبة يبدؤون القراءة يوم الثلاثاء الآتي ان شاء الله. وذلك في الظهر. ولا يقعدوا. (أي لايقعدوا عن القراءة) في أواسط ربيع الثاني عام 1325 ه، محمد بن مسعود.

وكتب من رسالة الى الفقيه الطيب بن محمد أمروى الجراري:

أخانا الفقيه النزيه الارضى سيدي الطيب بن محمد أمروى الجراري بالمنكب الابيض- تعريب (ايغير ملولن) – أمنكم الله ورعاكم. وسلام عليكم وتوابعه، ونسألكم صالح دعائكم. هذا وقد بلغني كتابك تذكر حال المتاع الذي رفعه إليك الشيخ شيخنا سيدي الحاج علي قدس الله سره. ونفعنا به. وشأن بصرك وأنه ضعيف. وشأن ميل خاطرك الى المذاكرة. مع ما عليه حال اخوتك بعد وفاة والدتك رحمة الله علينا وعليها. من تشتت الحال. فاعلم أن الشيخ

رضي الله عنه ظن أنك ستمر على سيدي علي السباعي ببلدة "كسيمة" فترك متاعك عنده. ووصاه عليك. ليفتش لك بالشرط هناك ان أحببته. وحين رأينا كلامك سألنا من عندنا اذذاك من المتجردين من الفقراء عن ذلك. فأخبرونا بالامر كما وقع. ثم أخبروا الشيخ لما ذهبوا إليه في ملاقاة 27 من رمضان فأوصى فقراء "كسيمة" أن يوصوا سيدي عليا السباعي أن يوصل متاعك الى حيث يبلغك. هذا أو قريب منه ما أظن أنه أخبرنا به الفقراء الواردون علينا من الشيخ في "المعدر" بعد العيد. فان كان منك الصبر الى ورود المتاع. والا فارسل إليه من نثق به من رفاكة (جرارة) والله ييسر. والخير فيما وقع ان شاء الله تعالى. وأما شأن ضعف بصرك فالجأ الى الله فيه وفي تنوير البصيرة. وأظن أني رأيت في كتاب "مكارم الأخلاق" أن قراءة الممتحنة تنفع في ذلك وفي غيره. فراجعه. وأظن أني رأيت في كلام الشيخ زروق أن اسمه تعالى الشكور له تأثير وخاصية في ذلك. فاتخذ منهما وردا بنية التعبد. والاستشفاء من جملة العبادات بحمد الله تعالى. وأما المذاكرة في علم الظاهر. فمن عرف الاصلاح فليطالع لنفسه في داره. وليذاكر من وجده فيما أشكل واشكره على حالة أنت عليها. ولازم ذكر الاسم تدخل جنة التلذذ بذكر الله. واطمئنان القلب. والاستراحة من الانكاد في الدنيا قبل الآخرة. ولا تفرط في ورد الشيخ ولا في الاسم. والسر في ورد معلوم من الحديث النبوي وكلام الصوفية والابد. ولا تهتم من الرزق. وفقنا الله جميعا والسلام، محمد بن مسعود وفقه الله.

الحمد لله. نعم ماء فضيلة الوضوء ينفع في ذلك أعني ضعف البصر وفي غيره من الامراض. فقد جرب. واستعمل السنة في استعمال الكحل كل ليلة حسبما أشار إليه الشعراني في العهود. فراجعه. وذلك عند النوم. والله يشفي ويكفي آمين.

وكتب الأستاذ محمد بن مسعود المعدري إلى طلبته ببونعمان:

إخواننا طلبة المدرسة البونعمانية، كان الله لنا ولكم، وسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، هذا ونؤكد عليكم في لزوم صلاة الجماعة خلف الإمام، وحضور قراءة الحزب الراتب ومجلس الذكر، بحضور قلب تام في الصلاة وغيرها من الأذكار، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث، وحضور الدروس، خصوصا البخاري المحاذي به قراءة المختصر ودرس المختصر ومجموع الأمير والحكم، ولا يعبد الله إلا بالعلم، وأي خير عدمه من قرأ فروع باب من أبواب

المذهب، واتبعه بباب من أبواب البخاري المشتمل على الكلام المنور، فيستفيد فقه الأبواب ومدارك المسائل من نصوص كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وآثار أصحابه وتابعيهم بإحسان، وإذا ساعد التوفيق، وراجع المتعلم من انجر إليه الكلام في استنباط من قواعد الأصول في أبوابها، وتدرج بذلك إلى استحضارها في محلها من الفروع، كانت النعمة أكبر، ومن صعب عليه بعض الأبواب من جمع الجوامع أو التسهيل أو التلخيص، فلا بأس أن يقرأه وحده على أخينا سيدي ابراهيم البعقيلي، ويطالع بقية ما احتاج إليه من الكتاب بنفسه، ودرس المسائل في اللوح أرسخ لها في الذهن، وأنت يا سيدي أحمد بن محمد الكتاني، لا تغفل عما أمرناكم به من الخروج مع من أراد الخير لنفسه ليلة الخميس وليلة الجمعة للذكر في مساجد القرى، خصوصا في (إنتر) ومذاكرة الناس والنساء في التوحيد، وأبواب الطهارة والصلاة، والمحتاج إليه في باب الحيض والنفاس، ولا تحتاج إلى ذلك في ليلة رواح الفقراء المدرسة، بل اذكروا معهم، وليتذاكر معهم سيدي ابراهيم البدرازي بين العشاءين في الرسائل والحكم فذلك كله نفع لكم، وزيادة في الظاهر والباطن والخير كله في الاتباع والأدب، وأنت يا سيدي فلان (أي يحيا العبدلاوي) وفلان (سعيد التزنيتي) وفلان (محمد بن يدر الساحلي) قد أتلفتم جزءا من أعماركم بلا فائدة، فما يمنعكم من حضور الألواح، تنفعون أنفسكم والمسلمين، إن قدر لكم تحصيل، وفي الحديث: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما ومتعلما، فأي فائدة فيمن كانت أوقاته ملعونة بنص النبي صلى الله عليه وسلم، واجتهدوا في كتابة المجموع ودرسه

في اللوح كله، ومن حصله كتابة ودرسا وتحصيلا، لم يحتج إلا إلى تصفية قلبه، بصحبة الذاكرين، أعاننا الله وإياكم ويلطف بنا آمين. اهـ

رسالة كتبها الى الفقيه سيدي عمر الدهوزي فيها ما يتصف به الاستاذ الصوفي نصها:

شيخنا الفقيه الأعز الأرضى، النزيه البر المرتضى، مولانا أبو حفص سيدي عمر بن الحسين الطالبي، بالعوينة أمام جامع تزنيت المحروسة كان الله لنا ولكم، وسلام على سيادتكم العلية بالله، ورحمته تعالى وبركاته وقد منعنا الوقت وعوارض الأحوال، مما يقتضي الاتصال والانفصال من الورود عليكم بعدما انفصلت عنكم في ذلك اليوم، وقضاء الله خير ان شاء الله وقد فهمت من حال سيدي أن غرضه من مذاكرتنا أن يتبين ويستكشف حال هذا العبد، وما تحصل له من صحبة

الفقراء، وهل تم لديه ما يغتبط باكتسابه؟ فليعلم سيدنا ان الضعيف لا يستر عنك من حاله شيئا، مما يحتاج اليه، ويعول في ذلك عليه لأنه راجع الى التوحيد الخاص وهو شهود وحدة الوجود التي هي مشرب الصوفية المعبر عنهم في العرف بالأولياء، وغيرهم من أهل التعبدات، ومجرد الكرامات، يسمى بالعرف بالصالحين، فيعلم سيدنا أن لهذا الضعيف من فضل الله ذلك ذوقا بحيث وصل فيه الى مقام المشاهدة وهو أنه يتجلى الحق لعبده في كل شيء، فيشاهده بنور بصيرة القلبو فتارة يشاهده هو الظاهر في الأكوان، وتارة يشاهده هو الباطن فيها، بحيث يرى نفسه فضلا عن غيره، أن ظاهره خلق، وباطنه حق، كما قلنا في بعض المقطعات:

أرى ظاهري عبدا تسربل خشية وشوقا واطراقا بوصف عبودة
وحيث لمحت باطني لا أشك أ ه عين حق فاكشفوا لي حيرتي

هذه الحيرة هي المشار إليها بقول بعضهم:

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وتارة يرد التجلي على هذا العبد ببعض الأسماء الالهية وبعض الصفات العلية، كالكلام، فيجد في باطنه ذوقا: أن الموجودات بأسرها كلمات الحق، وهذا ذوق لم أر من ذكره ألا صاحب الانسان الكامل. وتارة يرد التجلي لهذا العبد الضعيف، بالنور النبوي، فيشاهده علما لكل موجود، بحيث يدرك بباطنه ذوقا: أن نوره صلى الله عليه وسلم ظهر اليه في كل شيء، وأنه عين كل شيء، ولعل ما ذكرناه هو حاصل ما عندنا من ذلك من فضل الله، وما وراءه من المعاني والأحوال، كالشوق والحب والتوكل، ونبذ الأكوان وراء ظهريا، فهو أمر يختلف وروده باختلاف الأحوال والاسباب والتوجيهات. فادع الله تعالى سيدي لأخيكم، وجل سيادتكم بالتأييد والحفظ الالهي، والأخذ باليد ظاهرا وباطنا، في الدنيا والآخرة، ولا بأس بقطع هذه، أو قطع أسمي ونحوه منها حذرا من إفشاء ما يجب كتمه، كان الله لنا ولكم في الدارين آمين. ونؤكد سيدنا في الاكثار من قراءة دلائل الخيرات والاسم المفرد: الله ولو ألفا منه بكرة وعشيا، وذلك أقل شيء منه، وان أمكن سرده 4000 في كل يوم فحسن، ولا تنسونا سيدي في الدعاء والسلام.

محمد بن مسعود كان الله له آمين.

والأبيات التي منها البيتان المتقدمان هذه تمامها:

أرى ظاهر عبدا تسربل خشية وشوقا واطراقا بوسم عبودة

وحيث لمحت باطني لاأشك أن ه عين حق فاكشفوا لي حيرتي

فهل ثم أمر يجمع المتقابلي ن أو غير ذا مما انطوى في القضية

وهل سره أن التجلي وارد بمقدار الاستعداد والقابلية

فأن كان ذا فلم تخصص بالبطو ن طورا وتارة يعم بلمحة

أروم اطراح غيره في توجهي إليه فألفى الغير عينا بنظرة

ألا فقهوا الفقير في حاله ففي تفقهه في حاله نفي غرة

وشاهد كمال الناس وأنس نقائصا لهم بمحاسن بهم قد تجلت

فهم لك مرآة ووصفك تجتلي بكل فغب عن ذكر حال القطيعة

فذاك من الجفا يغبر طلعة الصفا فاء فذى في شرب صفو المحبة

ومن ثم حسن الظن بالله والعبا د كان على المأثور من خير خصلة

وهذا الذي قررته في هذه الأبيات: هو ما فهمته من قولهم في المذاكرة: (لايشهد النقص إلا الناقص) ثم رأيته للإمام الشعراني في أول الميزان فراجعه، وقد سمعت بعض الاخوان من الفقراء يقرر فيه ما ذكرنا.

وقال أيضا:

للجهل آفة وللعلم رتبة   وللغي أهل والضلال فنون
ومن يدعي لفرط حمق ونخوة   شفوفا على الورى فذاك جنون

وقال يخاطب من إسمه "علي" من تلاميذه:

وما حسن منك التواني أباحسن   فأنت بريعان الشباب علي وسن

هجرت مجالس العلوم تكاسلا   وذلك من أمثالكم ليس بالحسن

أقمت على طول الليالي وهل ترى   من الماء في طول المقام سوى الأسن؟

وقال أيضا:

كم جاهل يسعى لأمر هلاكه ويحسبه المرقاة للفضل والمجد

وما علم المغرور أن الأمور في عواقبها المرآة للشؤم والسعد

فلا تأمن الدهر ان كان باسما إليك فان السم في ذلك الشهد

وحاذر صداقة الحقود فليس في مداراته يوما سبيل الى القصد

وهبك رأيت الخير منه وقلما يحاول غير الشرفي الصدر والورد

وقال أيضا:

سالم فديتك من هجر لابد يغلب من صبر

لابد يغلب عاشق ان الجفا أدهى أمر

وقال:

لام العذار بعارضيك موتر كالقوس، والجفنان كالسهمين

عجبا على ضعف الفتور تسابقا للروح كالبرقين مكتنفين

وقال:

عجبا أرتجي الدنو فلما   أن دنا صار غاية في البعاد

صار أقرب منه من كان في الغي   به وذا قرب شخصه في ازدياد

وقال:

وما الخل الوفي بذا الزمان سوى مثل السراب لدى العيان

يريك وميض سن في ابتسام لعمرك انه سيف يماني

يقلبه وحيث يرى انخداعا اليه دهاك من غير التواني

وكتب الى بعض تلاميذه، وقد تخلف عن درس "جمع الجوامع" ولا أعرف المخاطب الآن ولعله الحسن الاكراري المؤقت:

أيا حسنا من لم يكن حسنا به اشتغال ببحث أنديات جوامع

تفوتك أبحاث حسان تطرزت بالقاها دروس (جمع الجوامع)

تضيع آناء النهار وليله بغيبة مغتاب ونوك مجامع

ألا ساء مابه اشتغلت وساء ما يضمك من تلك المغاني الجامع

أيجمل منك أن تكون ابن عالم ومن ذهنك الثقوب أجمع جامع

وترغب عن مسائل العلم والحبا حث الغر عن منضود در المسامع

وقد جد في العلوم أقرانك الالي لهوا عن هوى زيد وعمرو وجامع

وقال في مجلس:

لله مجلس أنس راق منظره   جليسه حسن أحمد مختار

بمنزل أرج طابت مسرته   والشرب فيه كرام العرق أخيار

ووجدت بخط بعض الطلبة الالغيين هذه القطعة نسبها إليه، ناقلا عن خط أبي بكر الايكوازي من تلامذة سيدي مسعود، وذكر أنها من مبادئه:

المجد مثل زهرة الورد لابد من جهد لذي مجد
فالمجد لايدركه غير من عانى فنون الكد والجهد
كالزهر ليس يجتنيه سوى من مس بالشوك من الورد
كل له الى العلا نظرة ينظمها مقلد العقد
لكنه شتان ما بين من يصدر عنها صافي الورد
وبين من تكسرت دونه مرقاته فخر للخد
هيهات أن يمجد غير الذي بارز بالهندي ذا حد
مغامرا مستبسلا بطلا عزمته منه كما السرد

حتى ينال كل ما يبتغي رغم الأنوف من ذوي المجد

من لم يكن في عمره عالما مجدا مقبل الايدي

فانه أولى به أن يرى بين صفائح ثرى اللحد

رسالة كتبها الى تلاميذه في المدرسة البونعمانية يوم غادرهم في المرة الأخيرة الى سياحته التي نواها، ثم عاقه فيها أجله وهي وصية حسنة فيها نظرات استقر عليها أخيرا نحو مايراه نافعا من كيفيفة الدراسة، نصها:

إخواننا طلبة المدرسة البونعمانية كان الله لنا ولهم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، هذا ونؤكد عليكم في لزوم صلاة الجماعة خلف الامام، وحضور قراءة الحزب الراتب، والمجلس يعني مجلس الذكر المعتاد إذ ذاك كل عشية هناك بحضور قلب تام في الصلاة وغيرها من الأذكار، والاحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث، وحضور الدروس، خصوصا البخاري المحاذي به قراءة المختصر، ودرس المختصر، والمجموع للأمير، والحكم، ولا يعبد الله إلا بالعلم و وأي خير عدمه من قرأ فروع باب من أبواب المذهب، ومدارك المسائل من نصوص كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وآثار أصحابه وتابعيهم بإحسان، وإذا ساعد التوفيق، وراجع المتعلم ما انجر اليه الكلام في الاستنباط من قواعد الاصول في أبوابها وتدرج بذلك

الى استحضارها في محالها من الفروع، كانت النعمة أكبر، ومن صعب عليه بعض الأبواب من جمع الجوامع والتسهيل أو التلخيص فلا بأس أن يقرأه وحده على أخينا سيدي ابراهيم البعقيلي ويطالع بقية ما احتاج اليه من الكتاب بنفسه، ودرس المسائل في اللوح أرسخ لها في الذهن، وأنت يا سيدي أحمد بن محمد التناني، لاتغفل عما أمرناكم به من الخروج مع من أراد الخير لنفسه ليلة الخميس، وليلة الجمعة، للذكر في مساجد القرى، خصوصا في (أنتر) ومذاكرة الناس والنساء في التوحيد وأبواب الطهارة والصلاة، والمحتاج اليه في باب الحيض والنفاس، ولا تحتاجون الى ذلك في ليلة رواح الفقراء الى المدرسة، بل اذكروا معهم، وليتذاكر معهم سيدي ابراهيم البودراري بين العشائين في الرسائل والحكم، فذلك كله نفع لكم، وزيادة في الظاهر والباطن، والخير كله في الاتباع والادب، وأنت ياسيدي فلان يحيا العبلاوي وفلان سعيد التزنيتي وفلان محمد بن بدير الساحلي ةقد اتلفتم جزءا من أعماركم بلا فائدة كما يمنعكم من حضور الالواح يعني الانصبة تنفعون أنفسكم والمسلمين ان قدر لكم تحصيل، وفي الحديث: الدنيا ملعونة ملعون من فيها الا ذكر الله وما والاه، وعالما ومتعلما، فأي فائدة فيمن كانت أوقاته ملعونة بنص النبي صلى الله عليه وسلم، واجتهدوا في كتابة المجموع ودرسه في اللوح كله، ومن حصله كتابة ودرسا وتحصيلا، لم يحتج الا الى تصفية قلبه بصحبة الذاكري، أعاننا الله وإياكم، ويلطف بنا آمين.

رسالة أخرى كتبها أيضا الى تلاميذه، ينهاهم عن الاسترسال فيما يعتاده أمثالهم من الطلبة في نزهتهم، نصها:

أصحابنا الكرام، بعد التحية والسلام، فنسألكم صالح الدعاء، باخلاص النية والاهتمام، جمعنا الله وإياكم بدار السلام، ورزقنا حسن الختام، وأعيذكم بالله أن تكونوا من الاخسرين أعمالا الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فأحسنو الطويات وتعلقوا بإخلاص النيات، ولا تقابلوا نعم الله بكفرها بعدم عرفان قدرها، بل اشكروها بالوقوف عند أمر السنة ونهيها، فاجتنبوا لذلك ما عوده الشيطان في مثل تلك المسالك، واستمتعوا نصيحة ناصح مرشد، فخير الأمور فعل المقتصد:

يا صحابا وجوههم بسنا العلـ م بها يهتدي بليل غسيم

نزهة المنتمين للعلم شعر ونشيد يزري بلطف النسيم

وحوار من المعارف يلهي عن جمال الفتى الوضيء الوسيم

وسواها ضرب من النوك والتع شير شين لقدر علم جسيم

فتحلوا بحلية الفضل والهج ر اهجروا فالبذاء شر قسيم

فعليكم تحية تزدري بالز هر في الروض أو بثغر بسيم

إذا تمهد هذا فعزيمة عليكم أن لا تركنوا الى سفاسف الاخلاق فإن ذلك شين بكم على الاطلاق، وما عدا ما ذكرناه فإنما هو توغل في المآثم لا يليق بمتعلم ولا عالم، وإنما هو وصف الحمير، من ادمان النهيق والتعشير كما قلنا في بعض المقطعات قبل هذا مما فات:

لعمرك ما التنزه غير لهو يجر الى المكاره والمعاصي

سيجزي اللاعبون بزجر قول بما اجترحوا فيوخذ بالنواصي

هدانا الله وإياكم الى سبيل الرشاد، ونبا بنا عن اللجاج والعناد، بمنه وكرمه ومن لجأ منكم الى شيء من ذلك فإنه معتوب عليه، ومن تردى في المهاوي فقد شان نفسه، وشان من تعلق به، ونسي رمسه، فمن وقف على امتثال ما ذكرناه فالله تعالى يأخذ بيده في الدارين آمين، ومن أبي ولج في الغواية، ولم ينفك عن العماية، وكلنا أمره الى الباري ونعم الوكيل، فلا يخفي عليه حقير ولا جليل، والله تعالى يوفقنا أجمعين، الى سلوك سبيل رضوانه العميم بالنبي وآله، عليه وعليهم

أفضل الصلاة والتسليم، آمين، وكتب تنبيها وارشادا بتاريخ أواسط شعبان سنة 1312 ه محمد بن مسعود الطالبي، كان الله له وليا، وبه حفيا.

رسالة كتبها الى سيدي ابراهيم كزور الساحلي:

أخونا في الله تعالى الأعز الفقيه النزيه الأرضى محب أهل الله أبو إسحاق سيدي ابراهيم بن محمد المعدري السطحي، كان الله لنا ولكم، وسلام عليكم وتوابعه، ونسألكم صالح الدعاء.

هذا وحامله طلب مني أن أكتب إليك والى من ثمة من أخوانا الفقراء إعلاما لهم بان العيد إنما هو يوم الاربعاء، وأنه لايكفي في ثبوته يوم الثلاثاء ما كتب به الفقيه سدي الحاج الحسين، فترددت في الكتب، ثم ظهر لي أن أعلمك فان رأيت أن تعلمهم ليعيدوا الأضحية قبل فواتها، فافعل، وإلا فأنت أعلم بحال الناس، سلمنا الله وإياكم من كل فتنة آمين، وبيان كون ما كتب به الفقيه المذكور غير كاف في الثبوت انه ذكر أنه بلغه خبر اليقين. أو الخبر اليقين أن شهود التواتر شهدوا عند قضاة ثلاثاء جسيمة بذلك ولم يذكر هو ان من اخبره بذلك عدل، وكون الخبر يقينا، أي يفيد اليقين لايستلزم ذلك لاحتمال أنه أخبار من يثق هوبه، وأن كان في الشرع غير عدل، وقد تقرر أن الاحكام الشرعية لاتثبت

بلفظ فيه إجمال وإبهام وإحتمال وهذا كله واضح، وهذه فائدة نصب من يتعقب الاحكام، لئلا تبنى على التساهل، والله أعلم.

ومن آثاره الكبرى: إجازته للفقيه أبي زيد العوفي، وهي ذات فوائد جمة نصها:

إن أحسن الحديث مما تنوفس فيه في القديم والحديث: ذكر الله تعالى الذي من استند الله علا ووصل، ومن انقطع عنه نزل وانفصل، أحمده حمد معترف بآلائه مستزيد لنعمائه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود، وعلى آله وأصحابه أئمة الاهتداء، القاصمين بنشر العلم ظهور الاهواء والاعتداء.

هذا وإن الأخ في الله والأحب من أجله صاحبنا الفقيه الأنجب أبا زيد عبد الرحمان بن محمد العوفي الأنصاري، اجتهد حتى حصل على طرف صالح من العلوم المتداولة فطلب منا الاجازة على سنة سلف الأمة وخلفها، وكأنه ظنني في تلك المعركة من رجالها المقاتلة ولم يعلم أني لست إلا من النظارة الذين لادفاع لهم فضلا عن شن الغارة ولعمري ان العارف بالحال المعذور كذا ولعله غير معذور إذا ادعى أن هذا كاللعب والغرور لولا ما يجمع من الأمل ما تفرق من قوله صلى الله عليه وسلم: (ردوا السائل ولو بظلف محرق) لاسيما من كان

بين أشباه الناس، في بادية لاترى عينك فيها إلا النسناس والمستحق لاسم الفاضل منهم مثنى أو مفرد، والمنتحلون بالفضائل فيها كالشامة البيضاء في جلد الثور الأسود، ولما كان لحسن ظنه أجبته، وبرغوبه أسعفته، تشبيها بالكرام، متمثلا بقول بعض الأعلام:

أجزتك لا أني لما رمته أهل ولكن ما تبغيه محتمل سهل

فكيف أراني أهل ذاك وقدلاتي على الحواتان البطالة والجهل

وما العلم إلا البحر طاب مذاقه ومالي عل في الورود ولا نهل

فاسأل ربي العفو عنا فإنه لما يرتجيه الخلق من فضله

وستمثلا بقولنا مع تغيير يسير في نحو هذا الغرض خطابا لبعض أصحابنا في أمر عرض:

أجزنا وللبيب في القصد أسعفنا وما كان ذا تطاولا لا ولا منا

أثابكم ربي بخلد جنانه بفردوسه الأعلى وجازاكم عنا

وجمعنا والأهل والصحب في جوار صفوة خلق الله في المقصد الأسنى

عليه صلاة الله ما رنحت صبا جوانح صب ماله عيشة تهنا

فاقول: أجزت الصاحب المذكور، جعل الله لنا وله ذلك من العمل المقبول والسعي المشكور، إجازة عامة مطلقة، بكل مايصح لي وعني روايته، ثم ان صحبة الرواية عن مثلي من كل مقرو، ومروي ومصحح ومؤلف كذا، لاأريد منه جزاء ولا شكورا، الا المحبة في الله، وأن لا يغفل عني دعاء صالحا موفورا، بالشرط المعتبر، عند أئمة الأثر، كأن يتقي الله في سره ونجواه، وأن يقتفي سنة النبي الأواه، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وأن يلتزم لا أدري فيما لايدري، فقد أدبنا الله تعالى بخطاب من لايتطرق إليه اتباع الخطأ والوهم بقوله: (ولا تقف ماليس لك به علم) وذلك بعدماتذاكرنا معه في جملة من التآليف المتداولة و كالخلاصة للامام ابن مالك، ومختصر الشيخ خليل، وغيره من مؤلفات المذهب في الفروع والقواعد، كالمنهج المنتخب، الى قواعد المذهب، للامام الزقاق، وغير ذلك، وذاكرنا معه جل تلخيص المفتاح في البيان، ورسالة الشيخ الدردير فيه، والسمرقندية فيه أيضا، ونحو المصنف في الأصول من متن ابن السبكي في الأصول، مع شرحه للمحلي وبعض الحواشي عليه، وشراحه، وشرح الامام السنوسي على مختصره في المنطق، وبعض شروح متن الأخضري في المنطقو وغير ذلك من الفنونو كالحديث والسير، ومعظم ألفية المصطلح للعراقي، بتقرير صغير للمؤلف عليها، وشرح شيخ الاسلام زكرياء في بعض المواضع، وغير ذلك، والله يتقبل منا ومنه ، ويخلص الأعمال بمنه آمين، وقد أجزته كله بحق ما اخذت عن شيوخ عدة، أسمي من أمكن منهم من المشتهرين، ولم تكن للعبد الضعيف

رحلة يتسع فيها له المجال في الأخذ عن أكابر الرجال، ولكن نشير الى بعض ما تحصل لنا من ذلك على سبيل الاختصار...

ومن استجزته فأجازني: الشريف الحسيب العالم الفاضل الحاج الأبر أبو عبد الله المعطي بن أحمد الشريف السباعي، تقبل الله منا ومنه كل المساعي، لقيته بموسم القطب سيدي أحمد بن موسى نفعنا الله به، فكتبت بين يدي استدعائي ما جملته ما نصه:

ان دهتك صواعق الجهل فالجأ الامام هداتنا ابن معط

واغترف من بحاره قطرات يغن قطر نداه عن فيض معط

أستجيزكم ولست باهل ولادني عبيده القرم يعطي

ومن آثاره كذلك ما نصه:

وعليكم السلام ورحمته تعالى وبركاته، أما بعد: أما ما ذكرته من العجز عن الامامة فقد تكلمنا عليه في الرسالة التي مع هذه بما حاصله: إن المرء فقيه نفسه بعد الفقيه، فمن علمت من نفسك عدم توفر شروط الامامة فيه فانت أبصر، وأما ما نقلته عن التتائي فلا باس عليك منه نعم عليك اعتقاد انك لم تكن في رتبة الكمال أبدا، هذا مع وجوب الشكر عليك لما تحصل عندك من الكمال لتجمع بين الشكر والخوف، والحذر من رؤية الأعمال، والعجب والاعجاب بها، واما اعتقاد بطلان صلاتك وصلاة من صلى بك، أو الشك في ذلك، مع تحصيلك في الظاهر للفرائض، فمن باب الوسوسة حفظنا الله تعالى وإياكم من كل شر آمين، واما التنبيه فيما يتعلق بالعلم والقراءة في فنونه، فلا باس بحمد الله بقرائتك، فاشكر الله تعالى وأعرف قدر نعمة الله تعالى عليك في دينك وعلمك

وحالك، فكم طالب جد وما أدرك عشر ما أدركت في قليل، وكم ممن أدركه لم يوفق للعمل ببعضه وانظر مبحث الشكر من الاحياء للغزالي، وأوائل رسائل ابن عباد، وغير ذلك، والشكر هو الصراط المستقيم الذي قعد عليه اللعين، ليصد عنه العباد، كما أشير إليه في قوله تعالى (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) ذكره ابن عباد في الرسائل، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه آمين.

ومن آثاره الأدبية هذه الرسالة الى شيخه أحمد بن ابراهيم الاكراري:

مقام الأستاذ الذي له من الكبد الأفلاذ، والملاذ علمه الفياض المعاذ صاحب الفكر المنطقي الذي لايفوته قنص، والمتطلع الى ما غيره عنه نكص: سيدي أحمد بن ابراهيم، فعليك أفضل تحية، وإليك ما فاضت به السجية:

ما المجد إلا مجد من فاق الورى حتى تهادى فوقهم وتبخترا

أعلته همته الثريا صاعدا وسواه من اقرانه فوق الثرى

فتهدلت من فوقهم أغصانه يرعون منه غصن علم مثمرا

ما ذاك غيرك يا أبا العباس من ان دار بحث كان ليثا في الشرى

من لم يرد من ماء علمك لم يزل عنه الصداء وان تحسى ابحرا

ما أنت إلا مزنة هطلت فمن هطلت عليه بالمباحث اثمرا

أبقاك من ارقاك مجدا عاليا أطللت منه كالهلال ان ابدرا

وعليك خير تحية فواحة تنسيك حين تشم منها العنبرا

أما بعد: فقد اخبرت أنك وارد البلد، فواصل الرحم، فبادرت بهذه التحية، لعلها تحرك في تلك الناحية، فتأخذ الكتاب المستعار، وجازى الله المعير بالخير ونفع المعار، وان كان عندك شرح لايساغوجي، فأرسله مع الحامل، وعند العواشر المقبلة يكون مني ومن صاحبي وصل معك شامل وادع لنا ياسيدي بالمغفرة والتوفيق، وسلوك أقوم طريق.

وقال عند بناء الشيخ الإلغي البيت المعد للضيوف ((الثوى)) أو ((الكايزة)):

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقه بزراب منوعات أنيقة

فوفت بالألوان حتى تراها كزهور تنوعت في حديقة

تتراءى ألوانها في خطوط وتعاريج ضخمة ورقيقة

تلك بيضاء حشو حمراء تبدو رأي عين مدرة في عقيقة

أفقها زهرة وفي أرضها فاع جب لها زهرة الرياض الفتيقة

وإذا ما نظرت جنبيك أبصر ت بعينيك باهرا عن حقيقة

(ماكنات) بطولها قائمات معجبات قاماتها ممشوقة

تذكر الله كل وقت إذا دق ت برناتها لكل دقيقة

بهجة فذة تشوق إلى الجن ة نفسا بربها صديقة

كل من زارها يرى نفسه ته تاج نحو الفردوس أي مشوقة

رضي الله عن إمام البرايا من بناها لعلية دون سوقه

من أبان الدين الحنيف به في (إل غ) نهج الهدى وأنفق سوقه

خير شيخ قد فاق بالجد فأعجب لكسول محاول أن يفوقه

كان لله مخلصا فحباه من سناه صبوحه وغبوقه

حيهل أيها الظلماء لشيخ مصدر عن شريعة وحقيقة

فهو غوث في العصر هذا وبدر يدرك الزائرون (إلغ) شروقه

فاته يا مريد تجن قطوفا دانيات الجنى بخير طريقة

وقال كذلك رحمه الله:

لله سيدنا الشيخ الإمام وما أبداه في الحس مما يخلب البصرا

بني بناء لهم لا يبصرون سوى ما يبصرون كأن لم يرزقوا الفكرا

للعارفين شهود في مقاصدهم ويستوي عندهم ما سر أو جهرا

للجهر والسر أسرار وعندهم في السر معنى جلي عند من بصرا

وكتب لبعض أترابه الذين ينازعهم في ميادين الشرعيات:

اما بعد: فقد قرأت ردك الذي استفرغت فيه جهدك فرأيتك ابعدت النجعة وأنأيت عن الصل فرعه، فإنك لم تكن من ترتيب المقدمات على ذكر، ولم يجر ذلك قط منك على فكر، حتى شرقت وقد غربت القضية، واتهمت بأدلتك وقد أنجدت المسالة في الناحية النجدية:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل غذا استقل يمان

وكتب في أثناء جواب في نحو ذلك:

لقد أمعنت البصر فيما كتبت، وجمعته من الأدلة ورتبت، فظهر لي أنك أعرضت عن الحزن وتنكبت السهل الأفيح الى الأمعز وانك إنما أتيت في كل ما ذكرت بجهام من السحب، تقممتها مما لديك من الكتب فلم تضع الهناء مواضع النقب فذهب العمل هباء منثورا، ومن سلك الجبار فلا بد ان يكون عثورا.

وكتب الى من يستدعيه من طلبة المدرسة من أترابه، وذلك في مبادئه:

كتبت اليك والطجين مهيأ وخبز الحواري حوله يتلألأ

وقد فائت النعمى وطاب وريفها فيا سعد من في فيئها يتفيأ

وكتب في ذلك الطور الى رفيق له:

يا شقيقا للروح في خلقه ما يخجل الزهر في رياض الشقيق

اكنس البيت وافرش الفرش لازلت حفيا برا بكل صديق

وقال بديهة لجليسه:

أسقني ماء قراحا زادك الله صلاحا

وسقى قلبك من صرف شراب الحب راحا

وقال أيضا بديهة لمن يباحثه وسط هجير:

الوقت وقت استراحة فخذ لنفسك راحة

فالفكر فيه كلال فنم تنل نجاحه

ومن آثاره هذه المقامة:

أخبر الحارث بن همام قال: خرجت في بعض الأسفار في صحبة فتية من الخيار، كأن وجوههم الاسفار تتبلج من بشاشتهم سواطع الانوار وتتعطر من أخلاقهم أرجاء تلك القفار، ما فيهم إلا صادق ودود حافظ عهد، كريم عرق حليف إخاء وصدق، لابس تقي ومبرة، جالب لكل طرفة ومسرة كاف في المهمات، ثقة في الملمات يزين جليسه ويأتيه، ويبره ولا يلاغيه ان صمت فطود وقار وسكون، وان تكلم فمفيض آداب وفنون:

من صحاب ينسي الغريب بلقيا هم عزيز الأوطان والوطار
بجوار الذ من رشفة الرا ح ووصل الخرائد الأبكار

فجعلنا في بعض الأيام في ميدان الشعر، وتبارينا في المساهمة بقداح الفكر في مطارحات تنبيء عن صفاء الطويات، وخلوص السرائر والنيات فجرى بنا الحديث الذي هو شجون الى استمطار انواء القرائح، بانواع مداعبات تسلي المحزون، وتنهي عن محاسن ليلى توبة المجنون وتثير من الصبابة ما لايخل باداب، ولا يقدح في ديانة ولا يفضي الى عطب، واندفع كل منا يعمل جهده، ويبرز من لباب ماعنده في معرض غزل رقيق، يسبك ابريزه في كل معنى رشيق، فقال احد الحاضرين: ليجز كل واحد منكم ما ألقيه الساعة فقلنا سمعا وطاعة، فانشد البيت الأول، فأجازه من يليهو وهكذا الى تمام الدور، والانتهاء الى الصدر، وهذا ما تحصل من ذلك الانشاد البديع المستجاد:

الأول:

سلبتك جالبة الحتوف بسنا كبارقة السيوف

الثاني:

ماكنت تحسب في الهوى خطبا تدور به الصروف

الثالث:

يقتاد منك على الزنا نة قلب محترز انوف

الرابع:

ويذل عزة باذخ متمنع شكس عيوف

الخامس:

حتى غدا بك في الحبا لة جوءذر ثاني العطوف

السادس:

لا أنت أنت طحا بلب ك في الجوى داء مخوف

السابع:

فاحتل على رد الحيا ة بزهر داني القطوف

الثامن:

يفتر عن برد به للصب تبترد الرضوف

ثم وقف الدور من الرفقاء، لحادث عن من الزمن، وكيف تفلتهم صروف الحوادث وهي لم يفلت منها من ومن، ومن قدر له في الأزل أن يكون قصيرا، فلن يجد من ذلك ملتحدا، ولن يرى له نصيرا.

التصدير والتعجيز لبانت سعاد مطلعها:

(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) مؤجج بأوار الحب مخبول

طاحت به من صبابات طوائحها متيم إثرها لم يفد مكبول

ومنها:

(هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) في حضنها البرء للمفؤود مبذول

مربوعة القد لم تشن ملاحتها (لايشتكي قصر منها ولا طول)

(تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت) في رشفه للظمأ ري وتعسيل

يئيل منه عليل الهجر منتعشا (كأنه منهل بالراح معلول)

ومنها:

(أكرم بها خلة لو أنها صدقت) في ودها لم يكن في الهجر تسويل

ما ضرها لو سخت بوعدها ووفت (موعودها أو لو ان النصح مقبول)

(لكنها خلة قد سيط من دمها) طبع الصدود فما يفيد تأميل

لكل غيداء غنج لا يزايله (فجع وولع واخلاف وتبديل)

(فما تدوم على حال تكون بها) جنت من الحسن والجنون مشغول

في كل يوم تراها في تلونها (كما تلون في الوانها الغول)

(فلا تمسك بالعهد الذي عقدت) وكل عقد لذات الخدر محلول

كيف الوثوق بعهد لابقاء له (الا كما يمسك الماء الغرابيل)

(فلا يغرنك ما منت وما وعدت) أحبل كل اسيل الخد موصول؟

فانما ذاك احلام مضللة (ان الأماني والاحلام تضليل

إلى ان قال يذكر الناقة:

(تسعى الوشاة جنابيها وقولهم) شماتة ومريغ البغي مخلول

قد أرجفوا بي وقالوا لي بجميعهم (انك يا ابن أبي سلمى لمقتول)

(وقال كل خليل كنت آمله) اليك عني فما لدي تأميل

مالي بايواء مطلول الرسول يد (لا الهنيك اني عنك مشغول

(فقلت خلوا سبيلي لا ابالكم) لعل للعسر يسرا فيه تعجيل

لايدفع الجزع المحتوم من قدر (فكل ما قدر الرحمن مفعول)

إلى أن قال:

(أنبئت أن رسول الله أوعدني) وحلمه للزاخر الامواج مسدول

فلا يكدره جرم ولا جنف (فالعفو عند رسول الله مأمول)

(فقد اتيت رسول الله معتذرا) مما نمت بهت عدا مراذيل

وعندي العذر وضاحا يسددني (والعذر عند رسول الله مقبول)

(مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القر آن) ما معها لمصقع قيل

فيها من الحق نور تستنير به هالا حلاك (فيها مواعيظ وتفصيل)

(لاتأخذني بأقوال الوشاة ولم) تكن لتأخذني والصفح مبذول

حاشا ارى منك ما قالوا واني لم (أذنب وان كثرت في الأقاويل)

(لقد اقوم مقاما لو يقوم به) ثبت عراه من الهيبات تهويل

أظل مرتعدا مستسلما وأنا (ارى وأسمع ما لو يسمع الفيل)

(لظل يرعد الا أن يكون له) من رأفة المصطفى أنس وتسهيل

وافيت عن رغب لكي يوفر لي (من الرسول باذن الله تنويل)

(إنني وضعت يميني لا أنازعه) في يد من بره فوز وتوسيل

ضاقت بنفسي رحاب فانطرحت بها (في كف ذي نقم من قيله القيل)

(لذاك أهيب عندي إذ أكلمه) والقلب بالرعب والهيبات مخبول

وقد أحاطت بألبابي هواجسها (وقيل انك منسوب ومسؤول)

(من خادر من ليوث الأسد مسكنه) فيه الكماة رعاديد أبابيل

والرعب منه إذا صكت زوائره (ببطن شمر غيل دونه غيل)

...

وقال في الإمام ابن ناصر:

ملاذي إذا خانني كل ناصر وغوثي ابو عبد الاله ابن ناصر

امام الهدى قطب السيادة والتقى وجامع أشتات العلا والمفاخر

وناصر دين الله والسنة التي هي العروة الوثقى ومفخر فاخر

وقال في الولي الكبير ذي البركة الشهير، سيدي ابراهيم بن يحيا المدفون بأمسكين وهو في أول القرن السادس مانصه:

أبا سالم أبا السحاب وسيلتي إلى الله أنت في خطوب جليلة

أتانا عن الثقاة أن ضريحكم يغاث به اهل الكروب العظيمة

كذلك يستسقى الغمام به فلا يخيب مسايل النفوس الكريمة

وأبرئت الزمنى وحل عقالها ببابك فورا بعد اعوازحيلة

ومهدي الموحدين كان يسألكم دعاكم وحاله فوق شهرة

وهذا ضعيف عاجز عن وصوله لبابكم بغير كد وكلفة

لذلك أناب حسن قصد ونية تبلغه من فضلكم كل منية

من اللطف والتوفيق واليسر دائما هنيئا حلالا طيبا دون شبهة

وعلما كثيرا نافعا متقبلا وصالح أعمال وخالص توبة

وحفظا من المكروه في حالة وشر أذى الحساد من كل امة

وخاتمة حسنى أزف باثرها لروح وريحان بأفضل جنة

وتأدية الحقوق عني عاجلا وفي آجل فالله أوسع رحمة

كذا والداي مع شيوخي أقاربي صحابي كذا جميع اهل مودتي

وان كنت لاأستطيع أهدي تحية فهاك فتيت المسك مني بمدحتي

وباب رسول الله بابك والذي الم به ينال أعظم رغبة

فمن بحره اغترفت انت وكل من تشرف من سر الاله بغرفة

عليه وآله الكرام وصحبه صلاة بها الصبا تهب بنفحة

وكتب جواب أبيات ما نصه:

بعثت لي حصة خطت على مهل خط ابن مقلة فرع المجد والكرم
براحة هي للأعداء صاعقة أما العفاة فتنسيهم يدي هرم

ثم حاول مثل ذلك أيضا فقال:

جزاك الله افضل ما يجازى به مولى يقوم بحق عبد

ولازالت لك الألطاف تهدي لطائف تزدري بنسيم نجد

رسالة:

الأخ في الله تعالى، والأحب من أجله: الفقيه الذكي النجيب الصفي اللوذعي اللبيب: مولانا أبو سعيد سيدي عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الايكراري، امنكم الله تعالى ورعاكم، وسلام على سيادتكم البهية، ونسالكم صالح الدعاء.

هذا، وقد عرض لمحبكم إشكال في فرع من فروع الربويات هو ما ذكروه في ضبط طعام الربا، من أنه ما وجد فيه الاقتيات والادخار، وقالوا في الادخار أنه في كل شيء بحسبه، وذلك أنه إذا كان المقصود بهذا ضبط طعام الربا كما هو الظاهر من تفسيرهم العلة في قول الشيخ خليل: (علة الربا اقتيات وادخار) بالعلامة تبعا لما تقرر في الأصول في باب القياس من أن العلة بمعنى المعرف لا الباعث، عاد حاصل الكلام الى أن ما وجد فيه الاقتيات وادخار زمنا ما فهو ربوي، وهذا الادخار يمكن ادعاء وجوده في كل طعام، فقد قالوا: أنه في كل شيء بحسب الأمد المبتغى منه عادة، ولا يمكن أن يبتغي منه الادخار أزيد مما جرت به العادة، فإن

ابتغاء ما علم أن العادة بخلاف غير معتبر، فاذن كل ما ينتفع به زمنا ما، يمكن ادعاء أن ذلك القدر فيه ادخار، لأنه المبتغى منه عادة، فلم يخرج شيء من الأطعمة عن الادخار.

وكذلك قول البيانيين في الكناية انها متضمنة للمبالغة لأنها كادعاء ببينة، مشكل على محبكم، فإنه إن كان معناه أنها كذلك فيما إذا أقر المخاطب بالملزوم كما في قولك: زيد مهزول الفصيل، أي زيد جواد ألا ترى أنه مهزول الفصيل، وقس عليه، وزد على ذلك أنه غير مطرد في سائر الموارد، منها ما يتعلق إنكار المخاطب فيه باللازم والملزوم فلم يكن فيه سوق الكناية التي هي التعبير بالملزوم كالادعاء بالبينة، وهي البرهان وذلك كما في قوله تعالى: (ليس كمثله شيء) على أحد الوجوه، فإن نفي المثل مساو لنفي مثل المثل، في أن أحدهما ليس يتوصل به الى الآخر، فإن منكر انتفاء المثل، منكر لانتفاء مثل المثل، كما لايخفى، فتأمله، وأيضا قد يدعي أن الاستعمال ليس المقصود فيه من الكناية إلا زيادة التصرف، وقد لا يخطر في نفس السامع، بل ولا المتكلم سوقها مساق الاحتجاج، اللهم إلا أن يكون ذلك كله بحسب الأصل فيها، ثم توسع فيها، وكذلك اثباتهم للقسم الأول من أقسامها، وهو ماليس مقصودا منه ولا نسبة كقوله: (والضاعنين بجامع الأضغان) غير ظاهر، وقد قرره الدسوقي بعد أن استشكله بأن مجامع الاضغان مصدوقه هو القلوب فهو حقيقة لاكناية، ان المراد من المجامع الصفة وحدها، أي الجمع، ثم ينتقل منها الى القلوب ولابن يعقوب في شرح الجوهر فيه كلام لم يشف الغليل، ووجه اشكاله: أن المشتق موضوع للذات والذات حسبما تقرر في فن الوضع

وغيره، فأي فائدة في تجريده من الذات، ليتوصل الى الكناية، وأي دليل على قصد هذا، على تسليم أنه ليس تكلفا، مع أنه يمكن حينئذ ادعاء الكناية في جميع المشتقات، ولا خفاء في بعده أو بطلانه، فان قيل يخص بنحو مجامع الاضغان في البيت المستشهد به، فيماكان الغرض فيه الاشارة الى أن القلوب لكونها محلا للأضغان جديرة بالطعن لها، ولكون الوصف هو المفيد لذلك جعل اللفظ دالا عليه، متنقلا منه الى الذات، قلنا: هذا وحده لايوجب القول بدلالة اللفظ على خصوص الصفة، فان المشتق مع دلالته على الذات يفيد بالصفة التي هي جزء منه الاشارة الى العلية، كما تقرر في الأصول: إن تعليق الحكم بالمشتق، يوذن بعلية مأمنه الاشتقاق، ولم يشترطوا تجريده من الذات، بل لو جرد عنها لخرج من كونه مشتقا، ولزم تعميم الحكم في المشتقات، والمصادر المحضة، ولم يقولوا به فيما علمنا، وقد أسقط الشيخ الدردير في رسالة البيان ذلك القسم في الكنايةو ولا يبعد أنه لمثل هذا فعل ذلك، وأعرض السؤال على شيخنا الفقيه الأكبر سيدي أحمد وادعوا معنا، واقرأ مني السلام على الأخ السيد ابراهيم بن محمد وأخيه سيدي محمد، وكذا على اولاد شيخنا سيدي أحمد، واحمد لهم السلامة على اطلاق السيد إدريس وعلى أخيكم سيدي عبد الله، والله تعالى يحفظ حرمة الجميع ويجمعنا وإياهم والاحبة في المقام الرفيع بمنه، وكرمه آمين والسلام.

وكتب محبكم لله تعالى الى لقاء الله، والكمال على الله: الضعيف محمد ابن مسعود الطالبي.

كان الله له وليا، وبه حفيا آمين، مستمطرا من صالح دعائكم، فإنه لاعذر فيه.

نعم وإذا بعثت جوابا عن هذا السؤال ان تحرر لكم ما يحسن كتبه عنه، فابعثوا إلينا نسخة من هذا السؤال، وهذا القرطاس بعينه، وقد وقفت في تأليف للإمام أبي العباس العزفي رحمه الله، في مناقب ولي الله المشهور سيدي أبي يعزى المغربي رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به آمين على ما يفيد جواب ما كنت ذكرته لكم من الاشكال فيما يفعله بعض الشيوخ المسلكين في العصر من الانكار على بعض الفقهاء بحضرة الناس، مع كون ما ينكره مختلفا فيه أو مندوبا، وذلك أنه قال ما نصه:

وصل الى الشيخ الصالح أبي يعزى كتاب من الشيخ الصالح الفقيه أبي شعيب أيوب نزيل (أزمور) المعرف بالسارية، يلومه على كشف أسرار المسلمين، وينهاه عن هتك أستارهم، ويتقدم إليه بمثل قوله عليه السلام: من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وقال له: يأتيك الزوار والوفود فتقول لهذا: فعلت كذا، ولهذا فعلت كذا، ولهذا كان منك كذا، ولهذا أنت الذي تفعل كذا وكذا، اتق الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، أو نحو هذا من القول، قال فأخذ كتابه لما قرئ عليه، وقال للحاضرين عنده من الزوار والوافدين (مازيغ دا مغار أبو شعيب) ومعنى هذا باللسان العربي: مولاي الشيخ أبو شعيب يلومني على إخراج أسرار الناس، وفضيحتهم لقبح أعمالهم، وهل هذا في قدرة بشر؟ أو في وسع أحد أن يعرف أعمال الناس وأفعالهم في الغيب، حتى يفضحهم بها بين الأشهاد دائما، إنما

هو شيء يلقى إلي، وأوخذ بقوله ويقال: إنما أنت آية من آيات الله تعالى، والمراد منك أن يتوب الخلق على يدك.

وقال لي إبنه أبو محمد، وقد حدث بنحو من هذا عن الشيخ أبي شعيب، وقال في آخر الحديث: إني لا أقدر على الكف عن هذا، وأنا مغلوب عليه: أنخس وأغمز، ويقال لي قل فأقول، وهذا عذر واضح، وحق لائح، اه إلخ ما يشير إليه من أول الكلام، ولفظ ما يشير اليه منه نصه:

ومن أعجب الأعاجيب وأوضح الشواهد على أنه عن الحقيقة ناطق وبلسان العلم مجيب، ما حدثني به الفقيه الفاضل، أبو الصبر رحمه الله تعالى، قال وصل الى الشيخ الصالح أبي يعزى الخ انتهى. قال كاتبه محمد بن مسعود الطالبي كان الله له وليا آمين: ان ما كان منه من ذلك كان عن إذن خاص، وان خالف ظاهر الشرع، وهذا مثل ما ذكروه في الفرق بين معصية الولي ومعصية الفاسق، من أن الأول يفعل عن الاذن دون الثاني لكونه محجوبا، وبه يعلم ان معاصي الانبياء كآدم عليهم السلام ليست معاصي حقيقية بل بحسب الصورة لحكمة يعلمها الله تعالى، كما نبه عليه بعض العارفين فيما أظنه، وأظنه للكرماني وغيره، كالقاضي عياض في الشفا راجع حاشية الصاوي على خريدة الدردير في التوحيد والله تعالى أعلم وبه التوفيق، قيده مذاكرة معكم لا ليزيد بهم الم يكن عندكم، أخوكم الضعيف محمد، كان اله له آمين.

وخاطب الشيخ الالغي:

أعثمان حزت زي حلية عثمان خليفة خير المرسلين ابن عفان

بانجاز وعد للاحبة باللقا من الواجب الذي على كل رباني

ومطل الغني الظلم قد جاء مسندا فلا تك موسوما بوعد وبهتان

إذا جاءك المرقوم فلتات ولتكن خطاك خفافا تطف أشواق نيران

وذيلها إبن مسعود بقوله:

برؤية أوجه حسان يزينها من النور ما أفاضه بحر عرفان

تزيح أبا عمرو عن اللب ما انطوى عليه من أكدار وأغشية الران

فيغدو لأصله من الحسن والبها ويرقى الى أوج الكمال بإيقان

وقد كان مرة ابن مسعود مع الفقراء سائحا في (أزاغار) فاستدعاه بهذه القطعة:

هذي الجنان مفتحات الباب زخرت بحور خرد أتراب

وقلوب أهل الله تسكر بينها بمروق المشروب في الأكواب

كل له حظ فهل لك أن ترى حظا لقلبك بين الأحباب؟

فاقدم على عجل أبا عمرو وتحز من بينهم نفحات خير شراب

فعليك خير تحية تهمي على ذاك المقام كهاميات سحاب

رسالة:

أخانا الفقيه النزيه الأرضى سيدي الطيب بن محمد أمروي الجراري بالمنكب الابيض أمنكم الله ورعاكم، وسلام عليكم وتوابعه، ونسألكم صالح دعائكم، هذا وقد بلغني كتابك تذكر حال المتاع الذي رفعه إليك الشيخ شيخنا سيدي الحاج علي قدس الله سره ونفعنا به، وشأن بصرك وانه ضعيف، وشأن ميل خاطرك الى المذاكرة، مع ما عليه حال اخوتك بعد وفاة والدتك رحمة الله علينا وعليها، من تشت الحال، فاعلم ان الشيخ رضي الله عنه ظن أنك ستمر على سيدي علي السباعي ببلده (كسيمة) فترك متاعك عنده ووصاه عليك، ليفتش لك بالشرط هناك ان أحببته، وحين راينا كلامك سألنا من عندنا إذ ذاك من المتجردين من الفقراء عن ذلك، فأخبرونا بالأمر كما وقع، ثم اخبروا الشيخ لما ذهبوا إليه في ملاقاة 27 من رمضان فأوصى فقراء (كسيمة) أن يوصوا سيدي عليا السباعي أن يوصل متاعك الى حيث يبلغك، هذا أو قريب منه ما أظن أنه أخبرنا به الفقراء الواردون علينا من

الشيخ في المعدر بعد العيد، فان كان منك الصبر الى ورود المتاع، والا فارسل اليه من تثق به من رفاقك (جرارة) والله ييسر، والخير فيما وقع ان شاء الله تعالى، واما شأن ضعف بصرك فالجأ الى الله فيه وفي تنوير البصيرة، وأظن اني رأيت في كتاب (مكارم الأخلاق) أن قراءة سورة الممتحنة تنفع في ذلك وفي غيره، فراجعه، وأظن أني رأيت في كلام الشيخ زروق أن اسمه تعالى الشكور له تاثير وخاصية في ذلك، فاتخذ منهما وردا بنية التعبد، والاستشفاء من جملة العبادات بحمد الله تعالى، وأما المذاكرة في علم الظاهر، فمن عرف الاصلاح فليطالع لنفسه في داره، وليذاكر من وجده فيما أشكل واشكره على حالة انت عليها، ولازم ذكر الاسم تدخل جنة التلذذ بذكر الله، واطمئنان القلب، والاستراحة من النكاد في الدنيا قبل الآخرة، ولا تفرط في ورد الشيخ ولا في الاسم، والسر في ورد معلوم من الحديث النبوي وكلام الصوفية والابد، ولا تهتم من الرزق، وفقنا الله جميعا والسلام، محمد بن مسعود وفقه الله.

وقال جوابا عن سؤال في نازلة:

أهم ما على الفقير ذكر وعزلة تنير

وان أبى تركه اهل الخصام في سعير

والاشغال بالفتا وي قيل ذا من الغرور

أتحفنا الله جميعا بحبور وسرور

وبانقطاع واتصا ل وانشراح في صدور

رسالة:

الشيخ الأعز الأصيل، ذو الفخر الجليل، والمجد الأثيل، مولانا أبو عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الأكبر العارف الاشهر، القطب الرباني الغوث الذاتي الحقاني، مولانا أبي الحسن سيدي الحاج علي بن احمد الالغي رضي الله عنهما وعنا بهما، وسلام على السيادة العلية، ومن تعلق بها أهلا وصحابا، ولا زائد بحمد الله الا الخير.

هذا وقد وصلني هنا كتابة للسيدة زوجة الشيخ بنت الفقيه الدوزي، حاصلها: أنها أشارت الى استشارتنا في النزول الى سكنى زاوية الشيخ بالمعدر وذكرت أن الشيخ رضي الله عنه كان اشار عليها في حياته بذلك، فأجبتها بأننا لانكره ذلك، بل أحببناه وفرحنا به، وأشرت عليها بالتثبت وعدم العجلة وإدامة الاستخارة و ولم ازد لها على ذلك، غير اني قلت لها: متى عزمتم على النزول، فأرسلوا إلينا انهي الفراش والاوعية.

هذا حاصل ما كتبت به علي، وحاصل ما أجبتها به، وسيدنا ينظر في ذلك، فنحن لايظن بنا اننا نستثقل احدا من اهل بيت الشيخ رضي الله عنه ولكن نحب ان لانبخل عليه بما ظهر من النصح، فغن تيسر اعمال مقتضاه، فذاك، وإلا فالخير فيما فعل الله إن شاء الله، فالذي حضرني الآن ان الأولى ان يتنازل سيدنا بما امكنه الى الغاية لجميع من في الدار، فإنهم عيال سيدنا الشيخ الأكبر، والبرور بهم برور بالشيخ، والرفق بهم والاحسان اليهم والتواضع لهم، والرحمة لهم، والشفقة عليهم، وتحمل أذاهم ومعالجة تباين أخلاقهم، وايثارهم على النفس، والتحليل بكل ممكن في ستر أحوالهم وجمع شملهم، حتى يبلغ الذكور، ويقوموا على أنفسهم، كل ذلك من طاعة الشيخ والدكم رضي الله عنه، وما علمت ان يسره لو كان حيا، كان يتأكد عليك السعي فيه بجدك وجهدك، وما علمت أنه يسوءه لو كان حيا في حقهم، وحق غيرهم، يجب عليك اجتنابه بالكلية، والتنصل عما وقع منه، وأرضاه من أسخطه، ممن كان من جنابك، حتى يزول ما في خاطره، ولو بالتطارح عليهم ويقبل رؤوسهم واقدامهم، والتباكي بين ايديهم، حتى يرقوا وتزول حزازة صدورهم.

فهذا وأمثاله هو الدال على كمال عقل سيدنا أيده الله، وصلاحيته للخلافة المعنوية، والقيام بأمر طريقة الشيخ، رضي الله عنه، وهو الذي يسر الصديق ويكبت العدو، والعكس بالعكس، فليحذر سيدي أن يسمع عنه سادتنا الاخوان، وجميع من له انتساب الى الطريقة، أنه أخل بشيء مما يجمع قلوب أهل الدار عليه.

وقد كنت وصلني على يد بعض الثقات اهل الصدق من الاخوان، خبر باشتكاء السيدة المذكورة بشيء من غليظ الكلام، صدر عليها من سيدتنا جدتك من قبل الأم، أعني الغشانية، وقد قالت لها في جملة ذلك: ان كان لك دار، فالحقي بها، أو ما يقرب من هذا، هذا بلغني ممن اجزم بصدقه، من خاصة الفقراء بحيث أنه عندي محقق كالشمس، فمثل هذا لاينبغي إهماله ولا التساهل فيه، بل يليق ويتاكد كالمتحتم، ان تلقي بالك، وتصرف حظا وافرا من تيقظك وتنبهك الى جميع أمور الدار، وتباشر تفاصيلها بنفسك، وتسد من الذرائع ما يخشى انفتاح الشر باهماله، واتساع الخرق في شانه، وذاكر النساء في شأن التواضع بعضهن لبعض، والصبر والحلم والفتوة، والصفح من العثرات، وأمثال ذلك، واعمل وجوه النظر والفكر، لينصلح به أمر عيالك ورعيتك، ففي الحديث، كلكم راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، وابتهل الى الله تعالى في اصلاحهم، وتأليف قلوبهم، واحتل لهم بالرفق والتلطف في الحضور الى مجالس الذكر والوعظ، وأقم المجلس بحاله المعهود فالنار لايطفيها غير الماء، أترى ان سيدنا الشيخ الأكبر رضي الله عنه، كان يفعل ذلك كله عبثا، كلا، فما الصق زاوية النساء بمحل ذكر الفقهاء إلا لذلك إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله اكبر، وكل مالايحبه الله تعالى، ومنه سوء الشحناء بين العيال والتباغض والتحاسد والتدابر، فهو من المنكر، ولابد من اعتناء سيدنا ايده الله بهذا الأمر وتشميره عن ساعد الجد فيه، بما ذكرنا من صرف الهمة الى مجلس الذكر، وإقامة الواعظ، وتوجه بصفو لبه الى حضرة ربه، والسعي

بغاية جهده، في إصلاح ذات البين لكل من في دار والده رضي الله عنه، فهذا كله من طاعته المفروضة عليه فان سكن ما تشوش منهم فذاك والحمد لله، وان عزمت السيدة ابنة الفقيه الادوزي على ما ذكرت، وصممت عليه، فلا تمنعها قهرا ولو بالتهديد، وكل امرها الى الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأما أولادها الذين يقرأون فهم في نظرك، فأنظر ما يصلح بهم ليس لها ان تذهب بهم إلا برضاك، إلا أن لها ان يزورها في نحو العواشر، هذا هو حكم الشرع بعد تعذر الارضاء، والله تعالى من فضله يأخذ بأيدي الجميع، ويتولانا وإياكم ءامين، وذاكر في هذا كله الأخ سيدي سعيدا التناني، فان ظهر له حيلة او وجه، فاستعن به، والله المعين، ولابأس ان نرى كلامك بعد ذلك، والسلام.

في أواخر ربيع الثاني سنة: 1329 ه عبيدكم: محمد بن مسعود.

رسالة:

...وأما أمر السيدة الادوزية، زوجة الشيخ الأكبر، رضي الله عنه، فانظر، وذاكرها أنت بنفسك، واعزل لها دارا ترضاها واجبر خاطرها جدا وان طلبت حضور أحد اخوتها لذلك، فارسل إليه، وان لم تطلبه فأنت كاف والسلام.
وقد طال الكلام و ولكن في بسط شفاء للنفوس كما قيل:

ما ناصحتك خبايا الود من رجل مالم ينلك بمكروه من العذل

وليعذرنا الشيخ، وليدع معنا، فإننا والله نحب له كل خير والسلام.

نعم اعزل للسيدة الادوزية كل ما ترضاه من متاعها، وحظوظ أولادها من الغلة، وافعل معها ما تحب كله، مما يقطع العلقة بينها وبين بقية النسوة وقل لها: أنا خديمكم داخلا وخارجا في الحطب والبهائم وغيرها، والشيخ كأن لم يمت، فهذا هو الذي يرضاه الله، والشيخ منك سيدي، والسلام.

وخاطب الأستاذ الحسين الإفراني لما سمع بانه عازم على الحج، وذاك ما يجيبه به لسان الحال:

أشوق حقا كي تبل حشاشتي　ويرقأ دمع بالتشوق هتان

أزور ربوعا ليس يعتاد زورها　سوى من له في الدين سر واعلان

فاصدر أيضا نحوكم فترونني　كأن لم أكن ممن عن الربع قد بانوا

وألقى قصيدة على الشيخ ماء العينين لم يحضرني منها إلا مايأتي:

سرى في الدجى فالتاج من وجهها بدر لأنواره توارت الأنجم الزهر

فهام بها قلب الخلي بنظرة علاه بها من الجوى السقم والضر

فكيف بمن غزاه من سكرة الهوى لبان ولم يفطمه عن حبه صبر

متى لاح او سرى طيب نسمة من الجزع هاجه لكاظمة الذكر

وقال أيضا في رثاء الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي، وهي من أفضل ما قال:

ماذا تؤمل من دناك وانما ءامال نضرتها سراب ساري

فإلى الزوال نعيمها فغذا حبت سلبت وان نفعت فنفع معر

ما دام فيها مالك، وخليله غلا صفي عقيل بعد طول جوار

وجذيمة وقصيره وقصوره، لم تغن عنه مكايد المختار

غالتهم ايدي المنون وكسرت كسرى وقسرا صرح قيصرهار

وخلا الخورنق بعد ءال محرق ومضت بسيف مدرك الاوتار

وجرت على عبس وذبيان بما غم النفوس وعم بالاكدار

شأن الزمان كذا وليس بدافع لهف الفتى من نازل الأقدار

من ذا يلوم على المنايا الجاري   فينا لها وثب الهزبر الضاري

اترى انهمار العين بالمدرار   من دمعها حق المصاب الجاري

من للفهوم ودقة الأنظار   من بعد فارس سوسنا الكرار

لا درّ در العين ان لم تبكه   بنجيعها ومهذب الأشعار

أيرى الخلي جمود عين ماتما   أم بادر الانفاس زفرة نار

رزء ألم وعم بالاسلام لو   يفدى افتدته نفائس الاخطار

من للعلوم يبثها ويمد اللب   اب الرجال بثاقب الافكار

من للقصائد ينتقي درر الكلام   لها ويرسلها كماء جار

ماشيت من لطف ورقة منزع   ومتانة في أحرف كدرار

أنظر الى ما أدرجوا في القبر من   فضل ومن علم وكل فخار

وانظر الى طود من الأطواد كيف   تقله الاعناق للاقبار

وانظر الى البدر المنير نحوا به   الاطباق محجوزا بذي الاحجار

وانظر الى بحر الفضائل ضمه   شبر من أرض يالها من دار

هذا الذي ما كان يطمع لاحق   في شأوه في غابر الاعصار

هذا إمام الدين يوم واحد   من مثله خير من الاعمار

فرد إليه المنتهى في الجمع اعرب   عن نهايته ابتدا الاخبار

شرف ومجد تالد ومروؤة ومآثر ورثت عن الأخيار

مشفوعة بطرائف ولطائف وعوارف تنسي حلي الأخبار

من معشر طيب الثنا المحمود من صور عليهم نافح الاعطار

نور الجلالة غرة بجباههم عنوان ما اقتبسوا من المختار

أمحمد أسفا لهذا الصقع بل للغرب من نبراسك المتواري

كانت (أدوز) بها البدور طوالع حتى طلعت بها كشمس نهار

فرقيت ذروة المجد الصمي م مجليا في ذلك المضمار

وأقمت رسم العلم فابتهجت من البح ث الأنيق مسالك النظار

تبتت ان شقيقك البدر اعت راه الخسف يوم غدوت حلف سرار

واقف في بدر السما لمصابه ينبي عن خطر من المقدار

ان مت فالذكر الجميل حياة من دامت صنائعه على الأحرار

ما مات من عبقت بنشر علومه وتفتقت أزهار ذي الأقطار

فالله يكلأ من تركت وراك من آل واشبال تخلد الدار

تلك المكارم لا التعاظم نخوة وسفاهة عن غير زندوار

لو لم يكن من دون درك المجد مهل كة لنال الفضل كل مبار

كعب بن مامة موثر لرفيقه بالري يوم صداه خوف العار

وحمى بمهجته ربيعة ظعنه يوم الطعان ولم يعب بفرار

من جد في نيل العلا بلغ المنى وكفى البطيء تثاقل الاسفار

من يزدري بالمتقين هوى به الطغو يا ان منكبا بقعر النار

هل يستوي المستبصرون على هدى والمعرض العاشي عن الأنوار

فاغنم زمانك بالتقى من قبل أن تلقى الردى يا ضيعة الأعمار

وقال أيضا فيه:

ياعين جودي بدمع منك مدرار على امام الهدى غيث الندى الجاري

آه لهلك الهمام القرم من سعدت بعلمه الناس من بدو وحضار

عن كان في عصره ابن العربي علما في الفضل والدين بحرا خيرا حبار

فقل بفضل سميه المقدم في جمع المعالي الأدوزي القمر الساري

لطيفة في وفاق الاسم أودعها من سر حكمته المهيمن الباري

وليس ينكر فضل الشمس غير فتى اعمى البصيرة أو خسوف ابصار

لله درك ياابن الأكرمين فقد احييت من فضلهم دارس آثار

فأصبحت أربع العلوم آهلة يفوح منك بطيب المندل الداري

لازال هطال رضوان ورحمة يجود قبرك من غفران غفار

في روضة من رياض الجنة ابتهجت بجيرة من كرام الناس أبرار

وقال في مدح المختار بن عبد الرحمن اليعقوبي من قصيدة:

سقيا ورعيا لمنزل كأن به أزهار روض سقاه القطر مدرار

تزهو وتبسم تحيي من محاسنها قلبا عليه لكل الهم اصرار

أنهاره صافيات من سلاستها تذكر ودا صفا ما فيه أكدار

وتذكر الحب دمع عاشق بعدت به وقد جرعته الصاب اقدار

والزهر يسقط والرياح تكتب في غديره ما له تخجل اسطار

والقطر ينقط والاغصان مائلة تعانقت كغوان هن اقمار

تحمل ورق حمام وهي قارئة بسجعها هي صحفا حفته أنهار

تذكر الصب وهي صادحات ضحى مرابعا هي للوصال أسرار

لكن تسلى بنادي ذي ندى محدث له الهواطل آصال وأبكار

ذي فتية جمعوا الطيب خلقهم مكارما مالها في الناس انكار

أعيان فضل وعلات لذي نسب وحسب أصلهم غر وأبرار

من فرع عبد الاله نجل يعقوب من دامت له بثناء الفضل اعطار

وذاك في منزل المولى الفقيه أبي عبد الله جواد الخير مختار

لازال مقرونة بالنجح همته (فكل ما فعل المختار مختار)

ولا يزل رحله المحط للفضلا عليه روح تحية وأنوار

قال ابن القرطبي في مدح الزمخشري:

لو جعلت اليم حبرا والفلا مهرقا كانت معاليه أطم

ان من جراه لولا -المصطفى- كنت فضلت على العرب العجم

فكتب الاستاذ ابن مسعود ما نصه: لما وقف كاتبه على هذه الأبيات أدركته غيرة السنة النبوية والاعمال بالنية فقلت متطفلا:

أيها المرء من المنكر ما قلت عن شيخك في حال العجم

أترى صحب النبي العربي وقرونا فاضلات كالعدم؟

بل وأهل السنة الغراء من كل طود علمه البحر التطم

للقرنبي الحسن في منظر من ليس يدري الحسن اذ ضل الامم

ان فيمن شرح الكشاف ما يكشف الحيرة من خطب اللمم

ان يعد خصم الى الغي أتى ناصر الدين بسيف فقصم

وقال يخاطب الفقيه محمد بن أحمد بن عمر من آيت بلقاسم المقدمين:

يا محمد يا سنا وجانا من به زين أفقه وازدانا

دمت فذا تبري القلوب بما تكتبه معجبا لنا حسانا

ان ما قد حررته كان حقا واضحا كيف تبتغي أعوانا

وعليك السلام من ربك المنعم يعطي لنا جميعا جنانا

وقال في مدح الشيخ ياسين الوسخيني: وإلى ذلك أشرت بقولي من قصيدة خطا بالبعض الفضاء:

وغذ كان قلب الذكر ياسين فالذي تسمى به قلب الأنام بذا القطر
فإن وفاق الإسم فيه لطيفة بها وافق السمي في محكم الذكر

ثم قال إن ذلك كزهرة تشم ولا تفرك.

وقال يخاطب الفقيه الأديب محمد الكثيري :

أمحمد الكثيري نسبة بل هو الكسير من العرفان

أبشر فقد لاحت بشائر ان قلبك واضح الأنوار واللمعان

لما كتبت إليك بالتحريض في إسم (الله) وافى الحال بالفيضان

فعلمت عن غلب الرجا في الله من ذا قابلية قلبك النوراني

فانهض لفرصة جوهر عال بقية عمرك الغالي عن الاثمان

ترد العلوم الزهر من عين الشر يعة والحقيقة مشرب الاعيان

وترق من فضل الاله لسر تو حيد يجل سناه عن أذهان

وهناك تلغى الحق لاغير سوا ه فنا عن الأغيار والأكوان

وتمد من سر البقاء ببابه تلقى قيام الخلق بالحنان

وهنا تتم لك العبودية التي هي في الشريعة مورد العبدان

وهناك تشهد في الجميع الحق ليس بغائب بل ظاهر هودان

رسالة كتبها الأستاذ ابن مسعود الى نائبه في المدرسة اذ ذاك:

"أخانا في الله تعالى الفقيه النزيه سيدي الحسن التناني كان الله لنا وله، وسلام عليه وتوابعه، هذا ونسألكم صالح الدعاء، ثم أن حملته طلبة "إيداوزيكي" ورفيقهم ولد سيدي الحاج عبد الله التناني، فتش لهم مفاتيح ما كان خاويا من بيوت المدرسة واضرب القرعة بينهم فيما وجد من البيوت، لئلا يجدوا في أنفسهم، ويظنوا تفضيل بعض على بعض، وراعهم في المئونة حتى يطمئنوا، وذلك بأن تدعوهم الى الغداء والى العشاء، حتى تطحن لكل واحد منهم ما يكفيه، وتضع في بيته من الشعير، فإذا انتظم أمر طعام القبيلة فأعمل في حقهم بحسبه، وان اختل فادفع اليهم المحتاج والكفاية أبدا، حتى يفعل الله ما يشاء، والله يكون لنا ولكم والسلام.

وخاطبه بقوله:

أسيدنا الخليفة المرتضى البحرا ودرة هذا الملك قلدها نحرا

سعيد بن أحمد السعيد الرضى البرا منزل عتاة سوسنا السهل والوعرا

حبتك المعالي المجد والعز والفخرا ولاقيت في العقبى المثوبة والذخرا

ولا زال منهلا بصيب رحمة على ربعك السلام والروح والبشرا

أتتك على الرغم السعادة اذ وفى بها طالع السعود عن عجل تترى

ومنك العزيز في الأرض باسطا على بابك الآمال فاغتنم الشكرا

وهذا ضعيف جاء يهدي مدائحا يؤمل من عليائك العرف والبرا

وما ذاك إلا فك عان جرت به ال مقادير في تزنيت قد كابد الاسرا

وذلك قد جرى به سيل فتنة حوى شؤمها العاصي في الناس والبرا

وكان له أخ منا الدينا مجاور برسم ابتغاء العلم من نجبا القرا

ومن خاصة الاصحاب والعلم شأنه عزيز عليكم ان عرفتم له قدرا

وكان الذي في السجن يكفيه ما أهم ه من أمور تشغل البال والفكرا

كما كان للمحبوس حق تعلم ال قرآن وهذا الحق أعظم به قدرا

وكانا جميعا قبل في حرمة الوقا ر من سلف أبقت له الحرمة الذكرا

وكانا من الأنصار من جاء في الحدي ث أمر بعفو عن مسيئهم وزرا

وهذا على فرض الاساءة والذي يظن بأهل الخير أن يكسبوا الخيرا

ولم يدخلا مداخل الشر بل هما بغيضان فيمن يطلب البغي والشرا

من الفئة المستضعفين ولو رأوا سبيلا لبانوا عن مواطنهم هجرا

وفي مثلهم قد جاء في الذكر أنه تعالى اسمه من ضعفهم قبل العذرا

وذاك إذا ما هاجروا نحو يثرب ومكة قبل فتحها استوطنوا دهرا

وسيدنا أولى بعفو محمد عليه صلاة الله ما بدت الشعرى

بقيت مخلد المكارم وافي ال مجادة محفوظا بدينا وفي الأخرى

وكان سيدي مسعود انقطع عن مواسم "إلغ" منذ التحق بمدرسة السعادات ثم لم يعد الى الحضور فيها إلا بعد 1365 ه حتى منعه الكبر يوم أن خلع العمائم الثلاث وبسبب انقطاعه عن إلغ والشيخ لايزال حيا كتب إليه العلامة سيدي محمد بن مسعود عن أمر سيدي سعيد التناني مايلي:

أخونا في الله تعالى، الفقير الصادق، المحب الوامق، أبو السعدات سيدي مسعود بن العياشي الشياظمي، كان الله لنا ولكم، وسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، من أخيكم في الله الفقير إلى الله سعيد بن محمد التناني، أخذ الله بيدة، ولا زائد بحمد الله الا خير، وموجبه إرادة تجديد العهد بكم، واخباركم بما نحن عليه، كي يتجدد بذلك معناكم وأنسكم، من نظرات القلب إلى مشرب الصفاء، ومحل الوفاء، حضرة أهل الله الذين إذا رؤوا ذكر الله، فسيدنا الشيخ رضي الله عنه بخير، كما تحبون، وقد ساح إلى مراكش المحروسة والسويرة وأحوازهما في هذا العام من

مبرئه، ورجع بسلامة وعافية بحمد الله، وقد طالت غيبتكم عن الشيخ وعن سادتنا الفقراء، وما نحب لكم الانقطاع عن تلك المشاهد التي هي أبواب لعزة الرحمن:

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت على الأيام منصورا

وقد ذكرناكم أنا وبعض الاخوان وذكرنا ما سمعناه عنكم بأنكم اشتغلتم بالبناء تتأهبون للتزوج فندبت الأخ المذكور لتنبيهكم بما حضره من الأبيات عسى القلب ينجذب بما ألفه من ذلك النمط الى سالف الخيرات، فكتب في ذلك:

مسعود لازلت في الخيرات مرتضعا ثدي المعارف عياش بن عياش

تقتات من نورها قوت القلوب وتمـ ـشي برفع الحجاب نشوة الناشي

مسعود لاتنس أسباب السعادة اذ وافتك ينزاح منها الكدر الغاشي

مالك في فترة أنستك أندية للوصل غاب بها الرقيب والواشي

تستبدلون بروض جنة زهرت أنوارها غمما ينتابها العاشي

وكتب في ذلك المعنى أيضا:

مسعود لا تله عن سر العزيز إذا ما ذقته نلت عزا خالد الأبد

وصرت لا أنت بل ما ثم غيرك يا ياما أحيلي مدام حضرة الأحد

مسعود يدعوك منك الحق هب ولا تضع جواهر عمر منك في كبد

فاخلع نعالا من الأغيار وانح الى حضرة قدس وصاحب فتية الرشيد

مسعود أسعدك المولى أتأمل في نهج المحبة في أمن بلا نكد

مسعود ويحك لاتترك لزخرف ما يفنى وفي طيه الأكدار بالرصد

واختر فديتك ما يبقى وماهو إلا الل ه فاغنم سعود الوقت عن بلد

مسعود لو قطرة ذيقت نسيت بها خمر الجنان وكل العيش ذا رغد

فاعمد بعزمك للشرب الهنيء ولا تجنح الى فتنة الأموال والولد

وانهض بعلياء همة اليه ولا تخلد لأرض الهوى وارحل الى الصمد

لايستوي القاعدون والمجاهد في سبل السعادة لاتغتر بالفند

إني نصحتك هبني ما انتصحت فان لم تصغ تندم عليها آخر المدد

في إلغ ويحك نور الحق فاغن به دهرا ومت موتة تحيا إلى الأبد

مغتسل بارد ينقيك من درن ومشرب طاهر يرويك في الخلد

أكرم به من رحيق صرفه سكر يرقي أريكة ملك جنة الخلد

فالله يقسم لي من فضله ولكم من ذلك أوفر حظ فائت العدد

والأخ المذكور يسلم عليكم كبقية السادة الفقراء، وعلى من هناك من الاخوان، أصلح الله للجميع كل شأن، آمين، والسلام يعود عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. وكتب في أواخر ربيع الثاني 1327 ه.

وقال حين فارق "أدوز":

لله أيام تقضت في أدوز فيها اللبيب بكل معجزة يفوز
ما شئت من أدب ومن علم ومن فكر لكل فهوم أبحاث يحوز
يا جنة الدنيا الضرورة ألجأت لبيين عنك ولم يكن مما يجوز

وقال أيضا في ذلك:

سقيا ورعيا لمنزل كان به أزهار روض حباها القطر مدرار

تزهو وتبسم تحي من محاسنها قلبا عليه لكل الهم اصدار

أنهاره صافيات من سلاستها تذكر ودا صفا ما به أكدار

وتذكر المحب دمع عاشق بعدت به وقد جرعته الصاب أقدار

والزهر تسقط والرياح تكتب في غديره ماله تخجل أسطاره

والقطر ينقط والاغصان مائلة تعانقت كغوا هن أقمار

تحمل ورق الحمام وهي قارئة بسجعها ورقا حفته أنهار

تذكر الصب وهي صادحات ضحى مرابعا هي للوصال أسرار

لكن تسلي بناد ذي ندى جمعت له الهواطل ءاصال وأبكار

ذي فتية جمعوا الطيب أخلاقهم مكارما ما لها في الناس إنكار

أعيان فضل وعلات لدى نسب وحسب أصلهم غر وأبرار

من فرع عبد الاله نجل يعقوب من دامت له بثناء الفضل أعطار

ولا يزال رحله المحط للفضر عليه روح تحيات وأنوار

وخاطب الحاج ياسين الوسخيني بقصيدة منها:

واذ كان قلب الذكر فالذي تسمى به قلب الانام بذا القطر

فإن وفاق الاسم فيه لطيفة بها وافق السمي في محكم الذكر

ونص الأبيات التي استجاز بها أحمد بن عبد الرحمن التملي:

وإذ فاتنا أخذ الدراية عنكم ففي بسط ما ذكرته بعض غنية

وإن لم أكن أهلا لذاك فقضلكم يغطي على جهلي ويجزل منيتي

بقيتم لأهل العلم والناس كلهم كهوفا لها ينحون في كل بغية

فأجابه:

سلام كريم فائق المسك في النشر على من غدا في العصر من زينة القطر

أخينا أبي عبد الإله الفقيه نجـ ـل سيدنا مسعود الأوحد الصدر

وبعد. فقد كانت سيادتك ابتغت من العبد ما يبغي من العلما الكبر

أجزتم في العلم والعبد كان عن منازل أهل العلم منخفض القدر

ولكن نوى إسعافكم بجميل ظن كم فأبى اسعافه سابق القدر

الى يومنا هذا فقال أجزتم بما كان مرويا عن الوالد البر

وعن غيره من كل شيخ لنا رضا إجازة اطلاق لرغباك في الخير

وأوصيك ياموالاي مع ذاك بالتقى لرب الورى في حالي السر والجهر

وفضل ثبات والتحرز من هوى لنفس يغيب العقل في سورة الخمر

وان تتوقى شرط شيء من الدنا على حكم أو فتوى ولو كنت ذا فقر

فذلك من كتمان منزل ربنا ولايختفي الا عن الفاقر الى البور

وتدعو للعبد الضعيف برحمة من الملك الاعلى وبالغفر للوزر

نسأل اله العرش ابلاغنا معا منانا بخير الخلق مع ءاله الطهر

صلاة وتسليم عليه وءاله وصحب له في الناس كالأنجم الزهر

قال هذا وكتبه العبد الجاني: أحمد بن عبد الرحمن التملي لطف الله به.

ومما خاطبه به كذلك من رسالة:

سلام كمثل المسك شيب بتسنيم على شيخنا التملي من فم جشتيم

سلام يغار الورد من نفحاته يزف به لدار خلد وتنعيم

سلام كما ازدانت بصوب مراب عال وصال يزورها المشوق بتعتيم

سلام بهت حيا ربوع أحبة ربيع الورى غياثهم أهل تفخيم

رسالة بين ابن مسعود ووالده نصها:

من محمد بن مسعود الطالبي، ثم البرايسي، كان الله له آمين الى الشيخ الوالد، أطال الله بقاءه في سلامة والافية، دينا ودنيا وأخرى، وسلام عليه وتوابعه، وأسأل سيدي صالح الدعاء، ثم أن المولى مباركا ورد علينا صبيحة يوم الخميس الرابع عشر في رمضان، وذكر أنه قصد الى الشيخ في تبن للبهائم تفد عندهم في تيمجاض فأرسلت الى الشيخ على يده قالبا من السكر، وقدرة فخار فيها من السمن والعسل نحو 3 قبضات هدية للشيخ، رضي الله تعالى عنه وكافاه وادى عنا حقوقه وحقوق أهل الحقوق أجمعين، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسلت على يده لسيدنا أيضا جزئين من متن البخاري، لم نجد هنا في التابوت من النصف الأول في البخاري إلا ذينك الجزئين، وإلا جزءا من نسخة المدرسة هو الأول، وما منعنا من إرسال ذلك جملة فيما مضى إلا فقد صاحب بهيمة يوصل الجميع، وأما طلبة المدرسة فلا أظنهم يقدرون على توصيل الجميع على

أيديهم بدون دواب، أو لا تطيب أنفسهم بتحمل التعب في ذلك، وفي ذلك كله

مالا يخفى عن سيدنا فليعذرنا سيدي في تأخير الارسال فنحن أهل الكسل والضعف والزلات

القلبية والجسمانية، ثم أشكو الى الله تعالى ثم إليكم ما أجده في قلبي من القسوة والتكاسل عن

الطاعات وعن المسارعة إليها، وكثرة الخواطر الدنيوية، فبينما أنا أقول: لابأس عندي، إذا

الطبع يجذبني الى الكسل، وكثرة غفلة القلب وخوضه فيما لاينفع، ولعل ذلك هو سبب

التكاسل عن الطاعة، فليبعث لي سيدنا برسالة يبين فيها دواء لهذا، ثم أتضرع الى اللهو ثم

اليكم في أن تذكرنا بصالح الدعاء، لعل الله تعالى يدفع عنا شر ذلك، ويلزمنا الصراط الأسنى

واما خبر البلدة فليسأل سيدي المولى مباركا المذكور عنه وأما أنا فما سألت قط عن

ذلك، فان كان هذا عيبا، فأنا لاأكتمه عن الشيخ من نفسي، وسبب ذلك أني

وجدت بعض راحة القلب وسلامته من كراهة الجيران عندهم في ذلك، حتى أنه لو أمكنني

أن أنهى الطلبة الواردين على سيدي... وغيره ان يتحدثوا بين يدي بمثل ذلك لنهيتهم، وما

أخترت سكنى حوالي المدرسة إلا للعزلة عن الضيوف وعدم التحدث معهم، اذ لايأتون

بخير، ولكن قضاء الله خير ان شاء الله تعالى، ونسأله تعالى ان يتولانا في كل حال ويلطف بنا

في طلب الكمال آمين والسلام. في 14 رمضان المعظم سنة 1316 ه عن عجل، محمد أمنه الله.

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أفضل ما حييتنا به أيها الابن محمد حفظكم الله ورزقكم رشده وهداه، وأعلى مقاماتكم فوق المقامات بالنبي وآله والشيخ البخاري ورجاله وأوصيكم ونفسي بما أوصى به الله في كتابه بقول الله تعالى "ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم (الآية) ونعلمك بأنه وصلني ماذكرته بمقلوبه عن السمن والسكر، تقبل الله منكم، وجعل سعيكم سعيا مشكورا مقبولا، بالنبي وآله فخذ بيد الحامل ثلاثة أجزاء من القسطلاني وجزئين من نسخة البخاري للمدرسة، وجزءا من التسولي للسيد الحسن الاعرابي، تركه هنا الابن أحمد، وأما ما ذكرته من غفلة القلب، فعليك بكتاب "التنوير في إسقاط التدبير" لابن عطاء الله فقد رأيت عند الفقيه سيدي عبد الرحمان العوفي جزءا صغيرا من نسخته، وقال: وجدتها في أوراق أخوالي سي مسعود الذي يقرأ هناك، واشكر الله الذي رزقك وألهمك رشده وتقواه، قال الله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) الاية... واشكر الله على رؤية الطلبة والفقراء, وتأليف القلوب على محبة الله, وأما ماذكرته من الاضياف، فالسنة أن تتكلم معهم بما يليق، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، لايضركم من ضل إذا اهتديتم) وسلم الامر الله، ومن كلام زروق:

سلم لسلمى وسر حيث سارت إلخ

ولابد ان شاء الله أن تأتي بنفسك أو أخوك أحمد ببنتي عائشة الى دارنا هنا قبل العيد أو بعده، ولاتستهزئ ولو عليك ألف عذر والسلام.

وقال في الشيخ ماء العينين:

بالعيس عج ياشاكي العينين للشيخ قطب الوقت ما العينين

واخلع فديتك ثوب غفلة ماضي ترد العلوم الزهر من عينين

عين الشريعة والحقيقة ويك هل تخفى شموس ضحى لذي عينين؟

يا رب عبدك قد ألم ببابه مستشفعا في رفع كل الحين

ومقدما عطر الثناء هدية بدلا عن الفاني الحقير العين

يقول كاتبه الضعيف كان الله له آمين: ان من أجل ما أسدى الله تعالى إلي وأنعم به علي: هذا التصدير والتعجيز لبردة الامام البوصيري رحمه الله التي في معناها بالمحل الذي لايجهل من شفوف القدر والتمييز لما اشتملت عليه من النمط العالي من البلاغة والتطريز، فما هي في القصائد إلا كالكبريت الأحمر، أو عقود الدر والجوهر، وقد اشتهر مالها من الامداد والتنوير، وفك المعضلات وحل كل عسير، وقد جرى علي فيما مضى من بعض الشدائد ما أرجو من فضل الله تعالى بعد أيام أن عمدت إلى معاناتها، وتكليف مجاراتها، على الوجه المذكور تطفلا على ذلك الجناب العظيم، الذي خدمته سبب لنيل أعلى المنى والسؤال فظهرت مبادئ الفرج بعد الشروع والحمد لله، ففتح الله تعالى من ذلك في أولها بأبيات فوقف عليها من غير قصد مني من يجب امتثال إشارته، فأكد علي إكمالها، فلم يكن بد من طاعته، وهو شيخنا الامام العارف بالله، الدال على الله، القطب الرباني والغوث الذاتي الصمداني، سراج الهمة، ونبراس كل مدلهمة، قدوة السالكين، وإمام العارفين، البرزخ الجامع بين البحرين...والمرآة الكبرى، والمجلى الاتم الاسنى للناظرين: مولانا أبو الحسن سيدي

الحاج علي بن أحمد الجعفري، ثم الالغي رضي الله عنه ونفعنا بمحبته، وجعلنا من المتحققين بطاعته وخدمته، والاتحاد به ظاهرا وباطنا، سرا واعلانا آمين فكان من بركة نظره، ويمن لحظه وهمته: أن وفقني الله على عجزي وضعفي لما أشار به إلي، ويسر الله تعالى ذلك على وجه أرجو أن يكون عنوانا للقبول والاتصال بحضرة الممدوح به صلى الله عليه وسلم، ونيل كل مأمول، وماهي بأول نفحة من نفحات الشيخ رضي الله عنه وامداداته، فإنه والله الكيمياء والاكسير، والترياق الجابر لكل كسير، وما أحقه بقول القائل:

المسلمون بخير مابقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وماذا يقول القائل فيمن النظرة فيه محرة...

وأرسل مؤلف "تحفة الرسول" الى الشيخ الإلغي، فوافق إتمامه أن زوج الشيخ بنته لابن أخته سيدي موسى، فقال في آخر النظم:

وبعد تسويدي لذا النظم أتى أملاك شيخنا ابن أخته الفتى
السيد النجيب موسى بإبنته لذا بعثته برسم تحفته

فأجابه الشيخ بقوله:

أتحفتنا بتحفة الرسول أتحفك الله بكل سول
أيا ابن مسعود جزيت خيرا فيما كتبت ووقيت ضيرا

وهذه رسالة كتبها إلى بعض أصحابه:

"أخونا في الله تعالى: الشريف الأصيل، الحسيب النسيب، سيدي ومولاي ...كان الله لنا ولكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، تعم أحوالكم، وقد وصلني كتابك تذكر فيه السياحة، الى بلد كسيمة فاستخر الله تعالى بدعاء الاستخارة المعروف في حديث البخاري فان لم تحفظه الآن، فقل بعد صلاة ركعتين: (أستخير الله) مائة مرة، فما انشرح له الصدر فافعله، فدم عليه في جميع أمورك، والاولى والافضل والاكد والاحسن والاجل: هو دعاء السنة الذي في البخاري، فاكتبه في قرطاس، واجعله في جيبك، واقرأه بعد صلاة ركعتين في كل أمر تتردد في فعله من المباحات دون المحرمات والمكروهات، وأما الواجبات، فالخير في فعلها، وكذا المندوبات التي لم تعرض فيها شبهة الترجيح بين آحادها: وأما الورد فقد أذنا لك في تلقينه وجمع الناس على الذكر والمذاكرة، واقصد بذلك وجه الله تعالى، وعلامته ان لاتطلب منهم الدنيا، وما كان رزقك فسيأتيك بلا شك في ذلك، ولابد ولابد من ترك الغيبة وكثرة المزاح والقيل والقال، والخوض في أخبار الدنيا وغير ذلك مما يشتت

القلب، ولابد من اجتناب من يضرك حاله، ويكفيك من لقنتهم الذكر، بل يكفيك

الله، ولابد من تعظيم جميع أهل النسبة خصوصا فقراء الشيخ الالغي رضي الله عنه، خصوصا أهل

بيته، خصوصا خليفته، رضوان الله عنه وعنهم أجمعين، فلا تذكر أحدا منهم إلا بخير، بل أحسن

اليهم متى لقيتهم وعظمهم جدا لله، واعتزل عن مجالسة غالبهمو لئلا تقع معهم فيما هو شأن النفوس

إذ لا تقدر على الأدب معهم في كل وقت، وذلك ظاهر لايخفى، ولا تغفل عن بعث شيء

من الاحسان متى أمكنك الى خليفة الشيخ ونسوته الاخر ولو يسيرا، كبلغة أو صابون أو شمع،

فاخدم باب الله بما أمكنك من ذلك، واسأل عما عرض من أحكام الدين أهل العلم

المشهورين بالعلم والاتقان، وقليل ماهم وحرض من لقنتم الذكر على الجهر: لاإله إلا الله،

وذكره بالقلب باستحضار وحدانية الله كل حين، ومن زال عن قلبه شهود الاغيار، وغلب

عليه ذكر الوحدانية، فلقنه ذكر الاسم المفرد (الله) بكيفيته المعروفة، من اشباع المد، وحصر

النفس في المد اللا غاية الطاقة، والوقف على الهاء بالسكون، وتشخيص الحروف المرسومة في

قلب الذاكر كل وقت، واستحضار عظمة الله تعالى وهيبته حينئذ، واستشعار تجليها في كل

شيء، فبذلك ان شاء الله يرجى انفتاح الباب، وكشف الحجاب، ومشاهدة رب

الأرباب، بعد تصحيح التوبة عن الحرام، وسفاسف الأخلاق، وعلمهم من الصمت والوقار

والحياء، ولزوم الرحمة لعباد الله، والسخاء وغير ذلك من جميل الاخلاق و والزم ذلك

في نفسك، واذكر الموت والآخرة والقبر والنار، ويوم الحساب، أعاننا الله وإياك وادع معنا، والسلام.

يقول الاستاذ محمد بن مسعود في تصديره للقصيدة النونية التي ترجم فيها بقوله ومن مبيضته الأصلية أنقل:

الايماء الخفي، الى بعض التعريف بالقطب الالغي، وبعض ماله من الهدي السني رضي الله عنه وعنا به، وإن شئت قلت: "هز الراية الجعفرية، ونشر النفحات العنبرية و في المنافحة عن الطريقة الالغية، بذكر مالها من المآثر السنية":

يا صاح أصغ لسيرة الصمداني قطب الورى الالغي غوث الان

في هديه الاسنى وباهر مابدا من حاله ومقاله النوراني

ضمنته كلما ينم بعرفها نشر الثنا لامامنا الرباني

من ذا لمثلي أن يقوم على سفا له قدره بتراجم الاعيان

لكنهم من ربهم ترقى خديمهم أعز مكان

فيعود من بعد الجهالة عالما لسنا يمد بسرهم في الشان

واعلم بأن النظم يجوز حاكيا لتصرف أو بسط أو نقصان

وبنقل لفظ الشيخ في شرح ترى عين المقال بلفظ أو ببنان

ومتى انيت بلفظ أي او ما يرا دفها كيعني فهو شرح بيان

أو لفظ تفريع على قول الاما م الشيخ لاستخراج معنى ثان

فالشيخ يحفظه علينا الله كا ن امام هذا العصر في العرفان

يرقى بهمته الى أوج المعا رف مستعدا في زمان دان

ذو جذبة تحوي السلوك يحفها سر البقاء تحوط من خذلان

ناهيك ما في خطه بل قاله متحدثا بالشكر للاخوان

قد قيل لي غيبا مقامك كان فو ق مقام عبد القادر الجيلاني

وشهادة المخصوص أن يك مخبرا عن نفسه حق بلا نكران

بل لا أجل شهادة منها فعن ذوق بخبر لا عن الحسبان

وسمعته يوما يقول رأيت في زمن الرضى شيخي أبي عثمان

رؤيا أظن أنا تحتمل أمرها تمكينه اياه من البان

فأتيته سحرا أقص عليه ذا ك وجئته بالنزر من إحسان

فأجابني في الحال الان ملكت ما عندي بريد به سنا العرفان

وسمعت عن بعض الافاضل أن سيدنا سعيدا شيخه الرباني

قد قال ما ينبي برفعة قدره ووفور مبلغه لهذا الشان

إذ قال عن بعض الاكابر من تلا مذه بهي الحال ذلك سان

لكن فلان للامام الشيخ أو سع نظرة أي في شهود عيان

والشيخ صرح بانفتاح الباب جدا والمراد به صريح بيان

وسمعت بعض العارفين يقول فيه بانه قطب من الاعيان

وسمعت عن بعض الافاضل أنه من أكابر العرفان قبل الان

والبعض هذا من أفاظل صحب سيدنا سعيد واضح اللمعان

قد كان بشهد فيه أن قد نال من معنى الحقيقة وهو ذو إحسان

وجرى لدى ذا البعض ذكر مكالما ت الاوليا من حضرة الرحمان

فأبان ان الشيخ سيدنا له فيها التحقق قال دون فلان

يعني كبيرا من شيوخ العصر من أصحاب سيدنا أبي عثمان

ورأيته قد قال ضمن رسالة أبدى بها في السر بعض بيان

وأشار بحمد الله في قدم يمد به لقي الروح لا الجثمان

لولاه لم تتأت تربية المر يد ومن يذقه دراه بالوجدان

وأشار أن الحب وحده به فلذلك قد يتشابه الشبحان

إنا بحمد الله في قدم يم د به لقي الروح لا الجثمان

اولاه لم تتأت تربية المريد ومن يزقه دراه بالوجدان

وأشار ان المحب وحده به فلذلك قد يتشابه الشبحان

فيرى المريد الذات منه تمثلت بالشيخ قلت للطفه الروحاني

وسمعت عن بعض الافاضل عنه ما يبدي صراحة أنه الصمداني

وسمعت منه اشارة ان مقامه يتعدد الا شخاص في سر به رباني

أخذ العلوم الظاهرية عن محقق عصره من غير ما نكران

من لايشق غباره لذكائه ونفوذ فكرته وغوص جنان

الشيخ ذي التحقيق مولانا أبي عبد الاله ابن الرضى الرباني

العالم الثبت المشارك صالح العلماء قدوة سادة الاعيان

شيخ الشيوخ العربي الادو زي الامام الحبر ذي الاتقان

كانت له في الفقه قوة رد جز ئياته لاساس أصل بان

يأتي هناك بما يروق ولا تكلف في سلاسة لفظه النوراني

أما فروع النحو فهو إمامها يبدي بها عجبا من الاحسان

يستحضر التسهيل بورد منه في التدريس مايحتاج في التبيان

متواضع بر سليم الصدر طا هره من الاحقاد والاضغان

يبكي ويخشع في استماع الوعظ ذو سمت مهيب في جلالة شان

وله تآليف كشرح خلاصة النحو الشهير النفع في البلدان

وله تقاييد وأجوبة أفا د بها مع مع التحرير حسن بيان

وله المحبة في قلوب الناس وهي نتيجة الاخلاص والايمان

والفاضل الشيخ ابنه المذكور عنه وماله شيخ الدراية ثان

ولسيدي العربي مشائخ مثل الاسمى أحمد بن محمد الاكناني

شيخ المشائخ قدوة الصلحاء ذي البركات عمت سائر الاوطان

ولهم مشائخ منهم اتصل الطر يق به الى جسوس والبناني

وسواهما من جلة الاشياخ كا لدرعي ابن ناصر الرضا الرباني

وله كرامات وفتح في الكلا م على حديث المصطفى العدناني

يستخرج الجم الكثير من الفوا ئد منه مثل السادة الغران

ويقوم في أفعاله وشؤونه بالسنة الغراء كالمرجاني

ويحض من يمنى اليه على الصلا ة على النبي على مدى الازمان

ويحيلهم لنبيهم فسرت بهم نسمات ذاك المشرب النوراني

فتيسرت لهم مرائيه الشر يفة واغتذوا من شربه بلبان

هذا وكان الشيخ سيدنا المتر جم شيخنا الالغي قطب الآن

أخذ الطريق وذاق منها وهو في شرخ الشباب مطهر الادران

فجأته بعد لقيه بالشيخ عن نزر من الايام نفحة دان

صدمته منها هيبة راحت به في حالة المستهتر الحيران

دامت به كالشهر عاف بها لذ يذ الحس من غلب السنا الروحاني

وردت به أحلى الموارد واجتلى منها جلال الله في إحسان

صحبته منها حالة تبدو به بمجالس الاذكار من فيضان

وجرى على سنن الهدى حتى استقل من النجابة في العلوم بشان

فغدا لصحبة شيخه متجردا متبتلا للمقصد الحقاني

برياضة ومجاهدات عزائم وثبات مرنسخ كما تهلان

حتى أتته بجذبة أفنته في جمع الشهود عناية الرحمان

فسعى به الاستاذ حتى رده لوجوده من بعد ما هو فان

وأشار فيه بما يفيد مكانة علياء في التوحيد والعرفان

وسمعت أن الشيخ سيدنا نحا من بعد ذاك الى الخراب الساني

فأتى لسوق وهو يسأل واتزر بحيصرة في هيأة العريان

فنما الى أستاذه اذ كان في بلد بعيد خبر هذا الشأن

فأجابهم لم يبق محتاجا الى ماكان من أمر الخراب يعاني

يعني تمام الحال منه كأنه يومي لمحق النفس في الانسان

فإذا استقامت وانتقدت أكدارها وتهذبت فلها من الاحسان

كتب الأستاذ على آخر البيت: أي لها حق من الإحسان، إشارة إلى حديث: (أن لنفسك عليك حقا).

والاقربون أحق بالمعروف بل منها بذاك الجري في الميدان
وهنا يقال على إشارتهم جزا الاحسان احسان بلا كفران
وكأن سيدنا الامام جرى على جزم السلوك وخاف من طغيان

كتب عليه الأستاذ: أي طغيان النفس لما فيها من البقايا إن كانت فيها بقية.

فاحتاط مهتما الى أن يستبين بها صداقة خالص الخلان
ولما رآه من له التأهيل للا رشاد رشحه لهذا الشان
أعطاه اذنا ان يلقن ورده ورمى به الاقصى من البلدان
قد كان أرسله مقدم جلة من صحبه لزيارة الاخوان
وزيارة القطب الشهير الدرقوي العربي شيخ طوائف العرفان

وصحابه وبنيه مثل الطيب البدر القوي السر واللمعان

وكبير زمرته ووارث سره الشيخ المسلك عابد الرحمان

فبدا من الاستاذ سيدنا وفتيته رسوخ الحال والايقان

وجميع من زاروه يعجب منهم وبمده منهم سنا الايمان

ورآهم شيخ بزاوية وقد وجدوه في ركن من الاركان

فرأى من أهبة جدهم مارا قه فأتوه للتسليم واللقيان

سألوه كيف الحال سيدنا فقال انا اعتزلت هنا لصمت لسان

للذكر ثم رأيتم فذكرت من أحوالكم صحب الرضا الصمداني

أعني الامام الدرقاوي العربي كنت رأيتهم بحجة الرضوان

ناهيك من حال يذكر حال صحب العارف المذكور قطب الآن

فلقد رأى بعض مبشرة رأى فيها بحق سيد الاكوان

نبا بذلك مقسما: قال النبي له مقالا ليس بالهذيان

الله فضل أمتي واختار منهم صحب هذا الدرقوي الرباني

في سلوة الانفاس آخرها أتى ذكر الحكاية للرضى الكتاني

ولقد رأيت رسالة للشيخ سيدنا الى استاذه الفرداني

اذ ذاك يخبره بحال القوم آل العارف العربي بحسن بيان

يصف التكرم والتودد منهم ووفور جودهم على الاخوان

ويقول كم من أخ فقير نازل بعياله غمروه بالاحسان

والوقت حينئذ تجلى القهر فيه بجدب قحط غالب البلدان

ورأيته وصف الامام الطيب المذكور بالامداد والفيضان

إذ زاره بضريحه ويقول كم ت أذوب من نور هناك عراني

وأبان في تلك الرسالة ما له في شيخه من شوق ذي هيمان

وصبابة وتعلق وعنى بما أسدى له من منة الحنان

يومي بذاك لرفضه كل السوى وبه تتم ولادة العرفان

تلك السيادة لا تلفت واهن متذبذب في سيره حيران

وأذكر هنا ماكان أنشد في المواهب أو بشرحه للرضا الزرقاني

(ماكل من زار الحمى سمع الندا من أهله أهلا بمن وافاني)

هذا وبعد رجوعه وجد الاما م الشيخ مولانا أبا عثمان

لبى ندا مولاه فالتزم التجرد وهو مرتبط مع الاخوان

حتى أتاه الاذن في الارشاد مصحوبا بتأييد من الرحمان

فبدا له مصداق صدق الحال من نفع العباد بسره النوران

فغدا لصحبته أفاضل منهم وسرت به النفحات في البلدان

فبدا إماما من يلذ بجنابه نال المنى بالروح والريحان

وغدا إماما من يلم بلبابه يحلله فورا في مقام تهاني

وغدا الهمام متى يهم بحبيبه في كل أمر قدرة الرحمان

وغدا الإمام تفيض من جنباته الا نوار تلقي الصب في العرفان

حركاته وسكونه في طيها سر يوصل نازح الاوطان

يلقي بها من لحة في غطسة صمدية في بحره النوراني

ناهيك من شبح ترى مرآته المجلوة الرحمان رأى عيان

والذات مرآة لمدركها فقل ماشئت في الذاتي من أعيان

في وجهه سر الجمال يفيض با لرقراق والانوار واللمعان

وجلالة ومهابة من سطوة الجبروت لاتخفى على يقظان

ولذاك يدهش حاضروه ويطرقو ن خصوصا المتنور الرباني

ومدار مشربه وعمدته طريق الحب عن رفض لما هو فان

ويحض في شأن الرحيل بهمة علياء عن دنس وعن أدران

أعني التلفت بالقلوب الى الحطا م فذاك تثبيط من اللبان

والى الجمال شهوده فلذاك يبسط الشهود بغالب الاحيان

والغمر يحسب عارفا في بسطه أن كان من طبع كذي الفرقان

وصحابه كلا يمد بمنزع ينساق منه لحضرة الاحسان

وكذا سياسة كمل الاشياخ يختارون سبر الطبع للانسان

وأموره فيما يعود الى التصر ف في القلوب غريبة في الشان

فترى ذوي الاضغان بعد تقاتل برمي بهم في ألفة الخلان

في ساعة متناصحين وربما يبكون من ندم على الطغيان

وترى النفور متى توجه فيه لم يلبث وبانيه على اذعان

ويوده بل لايحب فراقه وتزول عنه وساوس الحرمان

كم فاجر ألقى له بقياده وغدا به في فتية الرحمان

ومتى توعد ظالما يأبى المتا ب فحاله للهلك والخسران

وله من الكشف الصحيح عجائب كالصبح تبصر ضوءه العينان

فاذا أشار اشارة فاعمل على ما قال لاترتب كما العميان

ويقول نحن مع الذين تعلقوا فينا نحوطهم بكل مكان

وحكوا لنا عن صادق حضر احتضا ر فقير من جملة الاخوان

ماكان يصحبهم ولكن كان يذ كر ورد هذا السيد الصمداني

مترينا متمعشما بالحل قا ل سألته ليبين بعض الشان

هل أنت منتسب لشيخ قال ذا شيخي الرضا الالغي مني دان

في كل ما جهة أراه لباسه متعدد الالوان من قفطان

ولسانه رطب بذكر الله وهي بشارة عظمى لذي إيمان

لتمكن الكمال من تلخيص ما ينمي لهم من ضغطة الحيران

من موطن فيه بحار اولو النهى بهبوب وسواس من الشيطان

وعواصف الشبه التي بهجومها ننحل فورا ربقة البرهان

ولقد سمعت عن احتضار جماعة نسبوا اليه إمارة الايقان

أما الذين تبتلوا للذكر منهم فالصدور بحلية الاحسان

ظهرت كرامات وتصريف وأحوال بهم كالجلة الاعيان

أما المعارف والكلام على الحقا ئق عن مذاق القوم أهل الشان

فلهم يد بيضاء في حل العويص ومنهم الامي ذو الاحسان

يبدي من العلم اللطيف غرائبا تنبيك عنه برتبة العرفان

وجميع ماحلوا به فكرامة للشيخ قطرة بحره النوراني

(والمرء في ميزانه اتباعه فاقدر بذا قدر النبي العدناني)

أما كرامات الامام الشيخ سيدنا فموج جل عن حسبان

فسمعت من ثقة من الاخوان في ذي صدق يقول: مرضت مذ أزمان

من قرحة النار المخوفة والتزمت الفرش بعد الكي بالنيران

فأتى الي السيخ سيدنا الاما م وما غفوت ولست بالنعسان

فغدا يمر على محل تألمي يده الكريمة ثم راح لشان

فأفقت ثم سألت أهل الدار عنه لنزلوه بموضع الضيفان

فتعجبوا وتطلبوه فما رأوا أثرا ولا سمعوا به الان

وبلاده من بلدة الشيخ الاما م بعيدة من حي باعمران

فبدا به من ذلك الوقت الشفا ، وتلك عادته بهذا الشان

فإذا المريض رآه في نوم اتا ه الروح عن قرب من الرحمان

وجرى لآخر مثله قد كان من رؤو س قبيله حذرا من الطغيان

فدعوه بعد فجاءهم فاحس في فور هناك بعلة البطناني

فبقي بها في الدار محصور الشغوظ دائم الانكاد والاحزان

وأظنه في نحو أسبوع ففي يوم أتاه امامنا الرباني

في غفوة فرآه يمسح ذاته فغدا معافى يافظا في الان

وجرى لاخر مثله ورأيت من لزم الفراش أتاه في أحيان

لعيادة من مطبق الحمى متى وافاه الفى خفة الرجفان

ومتى تأخر عنه عاد لحاله فغدا يسال توالي الاتيان

فادام سيدنا عيادته الى أن قام منتعشا من الرجفان

وسمعت بعض أفاضل الاخوان قا ل جلست خلف الشيخ ذات زمان

في مجلس التذكير ليلا مقمرا فجرى ببالي خاطر نفساني

وجهت فيه له الخطاب وقلت أ ما كنت كالاسلاف من أعيان

فسر على نمط الاشارة آية الانفاق قبل الفتح في القرآن

فرنا الي وقد تلون وجهه فأتى بها في الحال بالتبيان

وأشار أن القصد تفضيل السلو ك على انجذاب الغافل المتواني

وحكوا عن آخرجاء في بعض من الا مصار دار إمارة السلطان

مع قائد فبدا له من بعد ما دخلوا ارادة قتلهم في الآن

فتضرع المحكي عنه بسره للشيخ يسأل غوثه اللهفان

فأتاه شخص آخذ بيمينه ونأى به فورا عن الخلان

ونحا به لنجاته من بعد ما سقط العشاء به على سرحان

وبقول يزجره فما لك داخلا كالظالمين مداخل الطغيان

ورأوه وهو ببلدة في غيرها والبعد للابدال قرب دان

ورآه وهو مع النبي أفاضل الفقراء رؤية يقظة وعيان

ورآه فيما قال لي منهم فقير وهو مع خير الورى العدناني

ورفيقه الصديق سيدنا أبي بكر خليفة منبع الايمان

جاءوا الى الفقراء في وقت الحصاد فعاد مصطلما بذلك فان

وجرى لغيره مثل ذلك رأى انفتا ح السقف اذ دخلا أو الجدران

وحكوا لنا عن بعض أهل الله في حق الامام الشيخ بعض بيان

حلاه بالعمري من حيث المقا م وذاك متضح بلا نكران

فالشيخ قوته بدين الله لا تخفى على أحد سوى العميان

ورأوا مرائي صالحات تقتضي من نوره هرب العدا الشيطان

ماذا يقول القائلون بمن غدا مرآه روح الدين والايمان

ويحس من يلقاه قبل لقيه من قلبه بتوقد الايقان

وله من الاغلاظ في نهي الخنا كر ما يلائمها لدى الاعلان

يعطي الشريعة والحقيقة حقها فتراه يزجر جاني العصيان

في شدة عن رأفة في باطن وله على الضعفاء أي حنان

يأبى التجسس والتطلع للذي يأتيه مقترفا على الكتمان

متيقظ حذر من الاتباع في تحسين ظن دائم الاحيان

ومتى تبدي بالقرائن غير ما تعطي دعاوي الخائن الخوان

أعطى الظواهر حقها متحرزا بالحال والاديان من خسران

متثبت ماكان يغفل في الامو ر عن إنقاد موارد الطغيان

ويرى من الامر الاهم على الفقير تجنب التخليط والخسران

وتكتب الافضاء بالاسرار للفجار بل والاجانب العميان

وركونه بالقلب للأهواء والأعداء أهل الجحد والحرمان

وأشار فيه الشيخ سيدنا أبو عثمان حال الجذب والهيمان

بمآله لتيقظ وفطانة تنسي الرجال دها انوشروان

بله انكشاف حقائق الاشياء من نظر البصيرة من سنا العرفان

يأتي المصادر والموارد بالذي تقضي به الاحوال عن إتقان

بسياسة نبوية يوتي بها أهل الحقوق القسط بالميزان

هذا على ما كان فيه من انغما س السر في الأنوار والفيضان

فله على الجلوات من أسرار أهل الله ما في خلوة الاعيان

ما كان يشغله مزاولة الشؤو ن ورعي خلق عن شهود عيان

فتراه وهو بمجلس التذكير في تدبير بعض مصالح الاخوان

ويقيم سوق الشوق في ذكر السما ع وليس يغفل عن حقوق الان

يفني المهيم في توجه همة ويغيث لهفة ضارع حيران

ويحض في رعي الفقير لما اقتضا ه الحال فالاداب أس الشان

ويقول منه أبي أبو بكر تما م أمامة للمصطفى العدنان

مع أنه وافقته منه اشارة ليتمها حذرا من الحرمان

ورأي رعاية جانب الاداب بالا حجام آكد في رضا الرحمان

أي فهو مثل تعارض النصين في فن الاصول فمال للرجحان

وطريقه رفض السوى والذكر للمولى بجمعية مدى الازمان

ويقول ذكر الشيء عن ترك السوى يغنى به أي كيف بالحنان

وشكا له يوما فقير زلة ورأى بها كالعيب من نقصان

لجماعة الفقرا ورام ظهورها ونكال مقترف لذا العصيان

فأجابه العيب اشتغالكم عن أسباب الفنا في الله بالنقصان

وكذا يحض على تقيد فكره وتشخص اسم الله كل اون

ويحذر الغفلات بذكر انها للقلب كالغابات في الخسران

ويحض في تقييد ما تاني به أنواره من واردات معان

ويقول أن صفا القلوب يجيء وا ردها موافق سنة ومثان

هذا وفي تقييده صون وفي استنباطه أنس كعود مثاني

يعني تقوى قلب صاحبه به فالقلب بالاقوات كالجثمان

ويقول أن الساجدين بطوعهم من وحدو المولى على الايقان

كل برتبته يشير الى اختلا ف مراتب الايمان والاحسان

ويقول أن القصد بالصلوات ذكر الله فهو صلاة ذي العرفان

فانضح ببحرك كل بر واعتزل عن غير أهل الذكر والاخوان

حتى يصير الكون شيخك نجتلي في الكل نور الله رأي عيان

وتسير مرتقيا لربك كل ما تلقى تمد به من الاكوان

بعد اتحادك بالمسك اذ سرت في الكون وحدته بلا فرقان

فهناك تظهر وحدة المولى ويعني كنزك المدفون بالجدران

وله يشير حديث كنت الكنز فالأكوان أصل شهود أو برهان

كلا نمد فهؤلاء وهؤلاء للفضل ما في الجود من حرمان

ولذا ترى الكمال منبع عينهم فيه اتساع دائم الفيضان

يسقون باليمنى وباليسرى معا كلتا يديه يمين هذا الشان

ويجيئهم مدد الإله من الجهات ويستوي الفوقي والتحتاني

وطريقه في الذكر هيللة والاسم الله أو مدح النبي العدناني

والوعظ والتذكير والإنشاد من أشعاره أهل الفن بالألحان

بلسان عرب وبعذب البربر ي منمقا متناسب الاوزان

وإذا قرأ بعض القصائد أو جرى إنشاده في مجلس الاخوان

أو بعض كتب القوم يظهر سره فيه فيحلولي بكل لسان

والغمر يحسب ذلك الامداد من مقروه وبهيم في الحسبان

فلقد جرى في مجلس استحسانه ما سمعوه من قول الذي عرفان

ان بان من جلسائه استحسان ما سمعوه من قول الذي عرفان

فأجاب ذا كالماء يعذب للذي اكل المطاعم قبل لا الغرثان

يسري بهمته من الامداد في الجلاس ما يغني عن الاكوان

ويمد كلا بالذي يرقى به من خوف أو ندم من العصيان

وشهود توحيد وشوق صبابة وتعلق بالواحد الحنان

فترى بناديه القلوب تصدعت مابين باك خاشع أو فان

وإذا سرى معنى النبوة في القلوب يبين فيه الوجد كالنشوان

فيصيح بالصلوات والتسليم عن جد وينهض نهضة التوقان

ويقوم كل الحاضرين لفعله متوافقي الاصوات عن إعلان

اما سماع كلام أهل العشق كا لحراق وابن الفارض الرباني

والششتري ونحوهم فهنا تخيمه ومركزه سره الحقاني

وله كلام في مجالسه من النمط البديع يمد بالعرفان

لبروزه غضا طريا يانعا متنورا من حضرة الرحمان

لكنه ما كان قيد منه الا بعض النزر في أحيان

إذ لم تكن همم الالى صحبوه في التقييد من ساداتنا الاخوان

إلا رسائله وتأليفا له يسمى وكان مالاسم (عقد جمان)

يلقي الكلام فيستفيد جليسه ما كان يضمره بلا إعلان

من مخرج لمضائق الانكاد أو رفع الشدائد أو خلاص العاني

ولربما انفرد المعين للكلا م بسمعه عن سائر الاخوان

ممن تيقظ لاستماع كلامه لاغرو فالتصريف للسلطان

ما كان يسأم حاضروه متى يطول كيف يفجر من رياض جنان

وإذا رأى استرسال من يقوى على استمساكه في وارد الفيضان

ينهاه عنه يشير أن تملكا للحال أسلم من هوى نفساني

ومتى اقتضى الحال التواجد لم يعبه عليه كالتشنيط للكسلان

نبئت عن بعض من الاخوان ما مضمونه ما جاء في التبيان

أن قال كنت بمجلس في الذكر لاسم الله بالمعهود كالاخوان

من ذكره بالصدر والهز المنير لجلب أحوال على الامكان

فحسست كل الذات تذكره فقا ل الشيخ لي في الغيب عن الكنان

هذا مرادي في فقير ان يرى متمكنا في الحال ذا سلطان

وسمعت بعض أفاضل الاخوان يذ كر عن فتى في حاله ولهان

قد كان منتسبا لورد الشيخ فاختطفته حال الجذب من لقيان

بالشيخ قيل رآه في محراب مسجد قرية معه النبي العدناني

فغدا به من ذاك ما أفناه عن حس وراح به الى هيمان

فحكوا لسيدنا الامام الشيخ ما لحق الفتى من حال مارستان

حسبوه ان قد جن من كالصرع أو خلط من السوداء ذي طغيان

فاستغرب الشيخ الجنون وقال ليس فقيرنا في الجذب بالولهان

وأظن أن الشيخ كان رآه بعد فقال ذا بصحيح حال فان

وأظنه اذ كان لم يصحبه ما طاق احتمال الحال في ذا الان

لكنه من بعد ذاك صحا وعا د بصحوه في حالة الفرقان

وله من القرآن ورد في التهجد بله ما في الجمع في رمضان

قد كان يجمع في تراويح العشاء وما قبيل الفجر بالاخوان

بالخمسة الاحزاب غير عمارة الأوقات بالمعهود كل زمان

ويديم بعد الظهر فيه قراءة لحديث طه المصطفى العدناني

ويحض في تعمير ذاك الشهر بالأعمال مثل أفاضل الازمان

وحكى لنا الاخوان عنه قراءة التفسير في بعض من الاحيان

وأشار للفضلاء منهم أن فيه من البقا مددا لمن هو فان

ويبين فيه على الاشارة في موا ضع ما يجد السالك النوراني

وكذلك مجلسه يقرر فيه ما انساق الكلام له من القرآن

مما يروق ولو تقيد كان مجموعا نفيسا باهر اللمعان

ورأيت في بعض الرسائل منه ما ألقاه كالتدريب للولدان

ويشير أن كلامه فيها على مقدار حاجة ذلك الانسان

ويقول ما معناه ان قد ينطوي في المعارف العلم الغزير الشان

من حيث وجه الروح وهو تراه لا يبدو بظاهره كبير بيان

قد قال في مشكاة نور الله هي الغوث يعني قطب كل زمان

مصباحها نور الالوهية انجلى بزجاجة أي حضرة العدناني

أعني النبوة وهو يوقد من مبا ركة من الزيتون ذي الادهان

يعني بذلك حضرة الاحدية المنفي توصيف لها بلسان

نور على نور يقول لجميع ذا نور يشير الى سنا الفيضان

يهدي الاله لنوره من شاءه فيراه في الاكوان رأي عميان

أي بالحقيقة دون ما كيف يكو ن هناك أو أين له وزمان

وله بأخرى مثله يومي الى ترك التلفت للذي هو فان

من نور أعمال يظن خلاصها من كل شوب او لحال سان

واستنبط المعنى بما فعل الخليل من اختيار الكوكب النوراني

ورقيه لأجل منه وقوله إني بريء إذ هوى القمران

وجهت وجهي للذي فطر السما والارض منتزها عن الاكوان

والوجه ظاهره وباطنه ونفي الشرك يشمل رتبة الايقان

لما رأى الاعمال يشملها السوى طاحت لديه كما الهباء الفاني

ورأى سماء الروح والارض الحشا ربها الى الاشباح بنية بان

فالذات والافعال فطرة باريء متوحد في شانه منان

هذا يشير له كلام الشيخ كي ينجو من أوحال الاسير العاني

ومراده تنبيه ذا الإنسان كي ينجو من أوحال الأسير العاني

بعقال عقل نيط بالاعمال محجوب البصيرة بالغطا النوراني

وله مذاكرة بأحكام العبا دة لانتفاع الجاهل المتواني

يبدي به التحرير للمنقول بالبحث الانيق لجلة الاعيان

ويشوبها حينا لرعي تباين الا حوال بالتذكير للنسوان

أو نحوهن يقيم منشد وصف نحو البعث والميزان والنيران

كلا يسوق بما يناسب حاله شان الطبيب لعلة الجثمان

ويقول: أن لجلة النسوان حقا في استماع مجالس الاخوان

ولذا بنى بيتا لهن حذاء زا ويه الرجال بلصقه متداني

ليفزن من علم الطريق بحظهن وعلم حق الله والعبدان

ويقول ما معناه الحقو ق على الفقير بمقتضى الامكان

لابد من وعظ الاقارب جملة والاهل أولاهم بهذا الشان

لاسيما شان الصلاة وقال لا يكفي تبرؤه بنطق لسان

ممن يضيعها وما الغمر الكتفي فيمن يضيع من حطام فان

الا بما يقوى عليه مغاضبا ومنكلا متواصل الاحزان

كلا حقوق الله أولى بالنكا ل بزجر أو ضرب أو الهجران

ويحض في شأن الصلاة جماعة وتأدب وزيارة الاخوان

ويشير من فحوى الكلام لمثل قو ل البعض لانعشق سوى الرحمان

والحكم يشمل من توحد بالفقير بحاله في سيره النوراني

ويشير للمشهور في التحذير من متفقري الاهواء والخسران

والشيخ افراغه مثالا قال يطلب في الفقير تحصن النسوان

أن لا يلاقي بالمحبة كل من يلقى يشير لآفة الفرقان

فالجمع فرع الجمع قال كما تؤ ثر فيك نظرة كامل العرفان

فكذاك تسلب نظرة المسلوب بالدنيا توجه سالك نوراني

هذا قريب من عبارته ولم أحفظ فراجعها ب(عقد جمان)

ويقول أوجب ما يكون من التأ دب وامتثال الامر للاعيان

أعني الشيوخ لانهم يرعون في الولد انصلاح دناه والاديان

فمتى توقف عنه الاستمداد فاستعداده متزلزل الاركان

ما دام فرعا مستعدا لايرى إلا ازدياد السر واللمعان

والغش فيهم مستحيل مثل ما يسري ندى الاشجار للاغصان

وبفرض ميلهم إليه بطبعهم فالروح تقهره كما السلطان

الضمير في تقهره راجع الى الطبع, كما كتب عليه الأستاذ.

فلها النزاهة والحقيقة شربها والشرع مركزها بلا طغيان

نور على نور ويهدي ربنا من يصطفيه له بلا خذلان

هذا مفاد كلامه ويقول أيضا زاده المولى من الفيضان

وبقدر ما حملوا من الأعباء ير نزقون في الامدا للخلان

وكذا العلوم الظاهرية يمنحو ن بها بقدر تعلق العبدان

كالسقي للاشجار حفظ فروعها والوالدات تمد بالالبان

ويقول أن السير في هذا الطر يق بالاجتماع بسائر الاخوان

وبالاستماع والاتباع ومن يشذ عن الجماعة فهو في شنآن

مثل الصلاة يؤم فيها القوم افضلهم ومن يخرج ففي بطلان

ومن استبد عن الجماعة ما احتظى بالنفع لا تجنح الى الخذلان

ويشير في بعض المرار الى ازديا د الشيخ من بعض من الولدان

بسمو همته عن الاكوان قا ل لذاك يشتاقون في أحيان

للفرع أكثر منه للاصل المحمد وذاك وصف الله فيهم سان

من حبه لعبيده ظهروا بوصف الله اذ نزلوا الى الفرقان

فالله جل جلاله في الحب لم يحبب سوى معناه في العبدان

ويقول أن القوم أهل الاختصا ص بسر الاخلاص الرفيع الشان

من لم يصاحبهم يجيء غدا وقد صفرت من الاعمال منه يدان

ويقول من يخرج لوجه الله يقصدنا فأهله في حصين أمان

حتى يعود ومن له شيخ فلا يلحظ مخافة سائر الاكوان

وكأنه يعني بذلك نفسه اذ كان في التصريف فردا لان

ويقول: لايزن المريد على المسلك بل ليكسر صنجة الميزان

فأمور أهل الله هي وراء طو ر العقل كيف تقاس بالاوزان

من نعتهم من نعته وفعالهم بالله في نور الحقيقة فان

ونظيره عند العروضي ما أتى بالوزن من آي من القرآن

قلت استمع ما أملح التنظير فهو دقيقة صدرت من العرفان

فالذكر وهو منزه ان يشبه الا شعار مشتمل على أوزان

والعارف المخصوص كالايات ما يحوي بلا كسب ففي غفران

ولذا يقال اذا فنيت فلا تخف دركا وغرم جناية للجاني

أما الذي فعلوه عن إذن كما في (الكهف) عن خضرفوجه ثان

والصدق يا هذا خفير رفيقه وبه الخليل نجا من النيران

رجع وقال الشيخ ضمن رسالة لازال في حلل من الرضوان

إن كنت تبغي نيل كل ملاحة فالمح مليح الوصف في الاخوان

وأنف القبيح وقال من ظن القبيح فوصفه في القوم حقا راني

ويقول: أهل الله مثل المرضعا ت فما كرهن قذارة الولدان

بل هم أجل فقاصد لله محمول على ما فيه من أدران

ويشير قول الشيخ أنهم اجل الى افتراق الطبع والعرفان

فالطبع يمنع مقتضاه بمانع من مقتضاه كسورة الغضبان

تأبى نفوذ حنانه بالطبع الا ما كان عن صفة من الرحمان

ويقول أهل الله ما زالوا ومن في الخير جد بجد بلا حرمان

ويشير في شأن النفوس الى القيا م على جهاد الجد في الازمان

فالحرب للاعدا سجال والقنو ط من النكوص والكبر العصيان

حتى تموت وبعض أهل الله و د حياتها لتدوم حرب طعان

ويقول ما معناه من يكب الجوا د وبه وما داسوه في الميدان

لم يلق من سوء كان لم ينطرح فليجر من فور مع الفرسان

ما زاده الا فروسية ومن يصرع فيقتل باء بالخسران

خسر الحياة وما له من ربه بدل وباء بخيبة الحرمان

هذا المثال حكاه عن شيخ الطر يق الدرقوي العربي قطب الان

ويقول: من يلحق بزلته المتا ب فذا بصدقه شاهد البرهان

هب انه عثر المئين ولم يصر فذا مجاهد نفسه بسنان

ويقول: ان الاساس في سير الطريق هو اصطحاب الجوع في الاحيان

وأشار في (عقد الجمان) الى بقيتها فعد الصمت في الاركان

في عزلة والذكر والبعض اقتفى سهرا وسيطا وهو خطب دان

ويحض في استحضار ما للحق من نعت المهابة وانفخام الشان

في كل ماشيء من الاشياء وهو أجل ذكر مناهج العرفان

أي فالحضور بهيبة التعظيم مع صفة العظيم نهاية الاحسان

فالحمد أي صفة يعم ما للحق من نعت الكمال الساني

من كل ما وصف وفيه تعرض من فضله للروح والريحان

من فتحه باب المشاهدة التي هي مطمح الالباب للاعيان

إذ لحظه في الكون جمع بين وصف عبودة وألوهة الرحمان

والوصف كيف بزايل الموصوف فهو وسيلة لشهوده بعيان

وبذاك يجتمع الفناء مع البقا في لحظة للسالك الرباني

فيراه منه ظاهرا ويراه فيه باطنا فتجمع الضدان

فظهوره نفس البطون فقد بدا فيما اختفى فأعجب له من شان

وهناك ينفذ لانكشاف الذات والا سماء والاوصاف بالايقان

ويرى فعال الخلق عين تجليا ت الحق خلف ستارة العبدان

ويرى قيام الخلق بالذات المقد س وهو توحيد الفعال الساني

وسمعت عنه أن هذ الذات با سم الله يسري فيه باللمعان

يعني فيخرقه ويحرق عنه ما في الصدر من خبث الصدى النفساني

ويقول: فيه هناك أعطيت الذي أعطيت أي من مشرب الاعيان

ويقول: من يثقل عليه فمن غليظ حجابه عن حضرة الحنان

هذا أشار له وعبر بانتفا ، تناسب أي للصدى والران

يعني انتفاء تناسب المحجوب من بعد عن المحجوب من حرمان

والبعض بامره بهيللة على جهر بهمة حازم يقظان

مستحضرا بالنفي نفي وجود غير الحق وهو النهج للعرفان

في حافل الاسواق لايلوي على تكليم معروف وذي نكران

متعريا بالرأس ليس بغض من طرف ويشهد باطن الاكوان

يعني قيام الخلق بالمولى وذا من فعله في حضرة الاحسان

وهي الصلاة حقيقة فكلامه فيها يعود عليه بالبطلان

والبعض يأمره بخرق عوائد بسؤاله للناس كالغرثان

في زي درويش يؤم به اطلا ع معارف الاهلين والجيران

ويقول: من رام العجيب يقوم با لأمر العجيب من الخراب الساني

وكلام طيفور بن عيسى عارف الا مصار معروف بهذا الشان

والبعض يأمره بلبس مرقع ويقول ذلك خرقة الاعيان

وهي التي اشتهر اللباس لها من الا شياخ بالاسناد للعدناني

ولهم كلام واسع فيها فشم شرح (المواهب) وهو للزرقاني

ويقول ان تكثر جماعة زائرين تناوبوا ذكرا برفع لسان

وقت الدخول الى القرى في همة دفعا لشر وساوس الشيطان

والفرد يذكر دائما ومتى له حال تجرد عاد بالاعلان

يعني لهيللة كتلبية الحجيج لها التعاهد دائم الاحيان

وبشير اطوارا لتوحيد الفعا ل فانه باب عظيم الشأن

منه الدخول الى سواه ترقيا منه لأوج الجمع عن عرفان

ويقول ما معناه أقرب ما به يبدو إليك الحق رأي عيان

ما كان أقرب نسبة وتناسبا في وصفه من حضرة الرحمان

يعني من الاشخاص بل وكذا البقا ع وسائر الاحوال والازمان

ولذاك كان المصطفى المجلى الأجل كوارثيه الجلة الاعيان

كل بنسبة قربه وكذلك الا برار ثمت فرقة الايمان

كل بنسبة قوة الايمان فيه ولا اعتبار بظاهر الاركان

فلذا نرى القدم المجهول يبره الا شياخ بالتقريب والاحسان

ببشاشة عن رأفة ومودة وتراه في الأعمال ذا طغيان

لكمون وصف صالح في قلبه كالحب والتفويض والتكلان

لحووا به صفة القديم فصار مر آة نقر بها العينان

وانظر الى مدد الصلاة والاجتما ع بمجلس الاذكار والقرآن

وكلام أهل الله يلبس كسوة من باطن متنور رباني

وانظر الى بقع المساجد والمشا هد واجتماع أفاضل الاخوان

وانظر الى أشباح نحو مصاحف القرآن أو كتب الحديث السامي

وكذاك خرزة سبحة الاذكار بل حجر التيمم فيه سر دان

وكذا الجسوم النيرات ومنه ما نظر الخليل وقد بدا القمران

وفراره بأفولها لتقيد الكفار بالمجلى من الاوثان

حتى التهاب النار يلمح من اضا ءته ظهور الحق في الاعيان

وانظر الى نبإ الكلام وقد رأى في ناره نور الهدى الحقاني

شملته في الوادي المقدس نفحة خلعت بنسمتها له النعلان

وكذا جمال الحسن أيا كان واحذر سرقة الطبع العدو الشاني

فمتى عليك بقية بقيت من الطبع الكثيف غلقت في الاشطان

وصفاء تلك النظرة العلياء في محو الرسوم بموت من هو فان

فمتى فنيت ترى جمال الحق محضا لا يكدره الهوى النفساني

وعناق أمر الشرع في كل الامو ر به اهتداؤك فهو حصن أمان

ويح النصارى والمجوس بجهلهم ركبوا البوار بسابق الحرمان

حادوا عن الرشد القويم وما اهتدوا بالنور كالمتفلسف الظلماني

وبنزعة من شربهم ضل الالى هتكوا حجاب الشرع من خسران

هذا مراد الشيخ من ذاك الكلا م الموجز المتحرر النوراني

لا بل إشارته الى ما فرق لو بسط الكلام عليه حق بيان

في ضمنه لب الحقيقة والشر يعة ياله دررا خطير الشان

ويقول يحصل في التجلي الاتحا د بكل ما يرنو إليه الراني

ولذا متى بالفكر جال يرى المفكر فيه عين النفس والاكوان

حتى يرى الكرسي عين الذات منه وكل شيء كيف بالرحمان

ولذاك تنجذب الامور متى يهم بها وتأتيه بلا عصيان

ويقول: قد قالوا الفقير كزندة المدفاع تبرز كامن النيران

فورا متى اعملتها هب إنها مغموسة من قبل في الاطيان

يعني لرقته بنور الذكر لم تغلظ له حجب من العصيان

فوقوعه في الذنب عن كره من الا قدار فهو محقق الغفران

إذ لم يكن مسترسلا في غفلة تنبو به عن حضرة الاحسان

وعزا قريبا منه في طبقاته للباخلي العارف الشعراني

ويقول: ان طريقنا للحب أي لا نجح فيه لذي شكوك وان

يعني به ترك التلفت بعد تحقيق المتاب لذي شكوك وان

في جانب المولى كذا في حق قدوته فسوء الظن ذنب ثان

ويشير ان العارفين يقابلو ن مريدهم بالظن والحسبان

يعني فظن الخير وارج الصفح لا ترهب نذاك محجة الرضوان

وكأنه كره انكماش المرء عن جزع وفيه الحب ذو أكنان

فليبد عن جلد من المكنون ما يرجو الرباح به بلا خسران

ويقول: كونوا بالاله وشيخكم لاتعرفوا أحدا سوى الاخوان

حيا يكون الشيخ أو ميتا ويتبع الصغار كبارهم في الشان

ويقول: أن جماعة الاخوان قا ئمة مقام الشيخ ذي العرفان

ويقول: ما قال الامام الشيخ زر وق لجمع الشمل كالاعيان

لا لحية من بعد ذي لكم وتلك ي نصيحة الاباء للولدان

يحملونه بالعلم عن تشتيتهم بتلفت يفضي الى الخسران

والكمل الاعلون في روضات جنات المعارف دائمو الفيضان

أمدادهم كثمار دار الخلد لا مقطوعة ممنوعة للجاني

لا موت عندهم كما الشهدا لذا لبوا مناديهم على إعلان

فمريدهم متقلب في سرهم ظهرا لبطن باهر اللمعان

ما دام منجمعا عليهم عاكفا في حبهم لم يخش من حرمان

ويحض في صبر خصوصا في الذي يبدو بحكم الطبع في الاخوان

وشهود ان الفعل من ملك الورى فيه استراحة صاحب الايقان

هذا ما وجد بخط المؤلف في مبيضته التي كتب بعضها في رمضان 1328 ه، وبعضها بعد وفاة الشيخ، ولعل ذلك سنة 1329 ه.

وقال أيضا من قصيدة مطلعها:

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعها الشذى النوراني

فزهت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الأظعان

وتعطرت أرجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها كنفح البان

وأنارت الأحلاك إذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمران

فكأنها وبها حياة الكون مو لانا الإمام العارف الصمداني

شيخ الجلالة شاذلي زمانه فرد الأوان وسيد الأقران

يا نجل أحمد يا علي علت بكم رتب سمت قدرا على كيوان

أنت الهمام الشهم يا ذا الهمة ال قعساء يا غوث الكسير العاني

أنت الجواد متى يعد الجود ما كعب وما هرم وما البحران

إن كان يخرج منهما المرجان وال در النضيد فذا نفيس فان

فلكم ندى الأرواح بالعرفان بل ه الجود للأشباح بالألوان

أوما جلوت صدا القلوب بحكمة صمدية من سرك الصمداني

وغسلت من أدرانها وحبوتها علقا نفيسا غالي الأثمان

فسقيتها من خمرة نبوية أزرت بما أروت بخمر جنان

من ذا يباري البدر في مجلاه أو يرتاب في شمس سوى العميان

بعد الكرامة وانتفاع الناس بالإ مداد في الاسرار والإعلان

أحييت رسم الدين بعد دروسه وخبو نور الحق بالطغيان

ونصبت مرفوع الدعائم من هدى خفضوه بالدعوى مدى أزمان

وبسرك انصلحت عصائب صقعنا ال سوسي من قاصيهم والداني

وبك المعارف والحقائق تجتلى صرفا على رغم الحسود الشاني

قلدت أعناق الرجال ذوي النهى منها عقود الدر والعقيان

ماذا وراء النفع يطلب شاهدا بجلالة التخصيص للأعيان

هذا الامام العارف الفاسي أبو زيد من الغر الكبار الشان

قد قال ان شهود نفع الناس من أهل الولاية واضح البرهان

بصحيح ما منحوا من السر الذي خص الاله به ذوي العرفان

ولقد سمعت بشارة من شيخكم العارف الاسنى أبي عثمان

قد قال أنك في مقام الشيخ غو ث زمانه الجمل الرضا العمراني

وسمعت من ثقة من أهل الكشف من أصحابه من نحوذا العنوان

أبقاك ربك هاديا وأدام سرا في بنيك لآخر الدوران

وإليكما تمشي على خجل ومن بركاتكم تزري بنظم جمان

هبت عليك من الإله تحية مشفوعة بالروح والريحان

وقال من قصيدة أخرى مطلعها:

قفا بالمطي في اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان

ما نصه:

فما شئت من معنى لطيف وحكمة منضدة تزهو على عقد مرجان

ومن مدد يسري بنور محبة كما سرت الصهباء في عقل نشوان

ومن كلمات يفلق الصم وعظها ينيب بها الله كم من فتى جان

فيصبح من بعد الغواية واضح الزهادة موسوما ببهجة إيمان

على قدم التجريد للحق سالكا بعزم وصدق في تبتل رهبان

وعلم وإيثار بمال ومهجة وحزم وجد عن بصيرة يقظان

(أناس من التوحيد صيغت نفوسهم فتراهم تر التوحيد في شخص إنسان)

سمعت سيدي أبا بكر بن عمر يقول ما رأيت تصرف همة الشيخ وعزائمه في الأمور إلا تذكرت قول سيدي محمد بن مسعود فيه فينشد البيت ويقول فيها أيضا:

وله الكرامات البواهر والتقى والعلم ليس الخبر مثل عيان

أما الفراسة والكلام على خوا طر حاضريه فآية الرحمان

وله من التصريف أمر واضح لمداخليه بدا على الاعيان

هذا على أدب يحيل به الامو ر على مشيئة ربه الحنان

يهدي الى سنن السلوك يبين عن كيفية التجريد والايقان

وطريقه قفو الكتاب وسنة والذكر والذكرى مع الاخوان

والذل في كسر النفوس وطرحها في زي كل محقر ومهان

والترك للتدبير والدعوى وما يسم الفقير بوسمة الخسران

من منكر أو بدعة وتهور في حال أو لغو من الهذيان

الحمد لله الذي قد جعلا لنا إلى الرحمة منه مدخلا

نبينا المحمود من أولاه كوثره من فضيلة مولاه

قلت وظاهر الحديث أن: محل ذاك حيث ما قد عنا

لم يستقر حيث قال الصحب لمن لحبه القلوب تصبوا

صلى عليه الله، إنا نجد ما يكره الاظهار منا أحد

له تعاظما، فقال: ذلك صريح الإيمان لما هنالك

من الكراهة، بحمد الله، إذا رد كيده لفعل واه

وكل بشهوة العيال معهم ومرهم بما يكون نفعهم

من أدب وحسن خلق واتركا ترفها وسنة الهدى اسلكا

وخاطب الاستاذ علي بن عبد الله الالغي بقوله:

تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الحلي

أبو حسن مأوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في علي

فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها إلا أبو حسن علي

فلو أطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلي

فأجابه بقوله:

لله درك من إمام عادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل

فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل

لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

أخونا وسيدنا العارف بالله تعالى الفقيه الارضى سيدي ابو عثمان سعيد بن محمد التناني كان الله لنا وله وسلام على سيادته العلية بالله ورحمته تعالى وبركاته على الامدادات النبوية والنفحات الوهبية وكان ايدانا للخير بحمد الله تعالى وأخونا الشريف سيدي محمد الرباطي أرسل رسالة يسئل فيها ويذكر ما ينبيء عن تشوفه الى أخبار الشيخ رضي الله تعالى عنه ويقول اذا أراد الشيخ المسير الى هذه الجهة فارسلوا إلينا الخبر على يد الفقيه سيدي العربي الخنبوبي وقد اعطيت تلك الرسالة للأخ سيدي بلعيد ليوصلها اليك والابيات التي ذكرت لكم اني زدتها أثناء القصيدة النبوية هي هذه بعد قولنا فيها:

يا من غدا أصل المحاسن...

هذا عبيد سائل...

وقد راجعت كلام العلامة الصبان في سيرته فرأيته يقيد ان لجعفر ذرية من غير ما ولدته زينب بنت علي من ولده عبد الله بن جعفر وزينب المذكورة هي ابنة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى

عن جميعهم فاسقطت البيتين اللذين رأيت وأبقيت الخمسة الابيات المزيدة فانظر أي

موضع يحسن كتبها فيه في مديح الشيخ من تلك القصيدة أعني نظم السلسلة وهي هذه

شرفا وفخرا

نسب عليه من الجلالة...

وقد علمت ان الناس مصدقون في أنسابهم حسبما أشار إليه ابن حجر الهيتمي في الفتاوي الحديثية وقد كنت ذكرت لكم ما نقل لي بعض الثقات عن بعض أهل الكشف من مشائخ الطريقة في شأن نسب الشيخ رضي الله عنه وان كان لم يسنده هو الى كشفه واذا وصلت في آخر القصيدة البيت الذي نصه: أبقاك بكرها إلخ واكتب قبله مانصه:

يايها الشيخ الذي من فيضه ...

...

منعطر الارجا...

وقولنا وعرابة الخ هو تلميح الى قول الشاعر:

اذا ما رأيته رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ه والسلام.

عن عجل لاستعجال الحامل ومتى وصلت النسخة من عند الهرواشي فنسبتها إليك محررة ان شاء الله تعالى والسلام. وابلغنا السلام على الاخوان جميعا وعلى الشيخ رضي الله تعالى عنه ان لاق وادعوا معنا بكل عفو وعافية والمعدر فيه هول والحامل يقص عليكم بقية خبرها فالله يلطف بالمسلمين آمين. كتبه الضعيف محمد بن مسعود الطالبي لطف الله به.

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الأستاذ محمد بن مسعود:

يقول كاتبه الضعيف كان الله له: كنت نظمت قبل هذا في مولد نبوي قصيدة نبوية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على قدر الطاقة، ومساعفة الحال، وألممت فيها بمدح شيخنا الإمام الهمام الرباني، الغوث الصمداني، أبي الحسن سيدي الحاج علي بن أحمد الجعفري ثم الإلغي رضي الله تعالى عنه وعنا به، وهنأته فيها بعيد المولد النبوي، وخطر لي الآن أن أنظم سند طريقته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيسر الله تعالى ذلك، وجادت القريحة معه بأبيات نبوية، فيها إلمام ببعض ما يتعلق بالجناب النبوي، فظهر لي أن أضمها إلى القصيدة النبوية المذكورة، مع أبيات أخرى في وزنها ورويها، خاطبت بها شيخنا الإمام، أول ما قدم علينا، ورأيت أن الجميع في مقاصد متناسبة، فجاء المجموع بحمد الله تعالى قصيدة واحدة نبوية صوفية، مع ما وقع في الأولين من نقص وزيادة وتغيير، جعل الله تعالى ذلك من السعي المشكور، الموجب لأعلى السعادة والحبور، بمنه وكرمه، وسميتها:

"إتحاف أهل الاعتقاد والوداد، بما للطريقة الإلغية من أسنى الإسناد"

وهذا نص ذلك:

صدحت مطوقة بأثل البان   أم نفحة وردت بريح البان

أم ذكر من تهواه هاج بلابلا فجرت غروب الدمع كالهتان

أم قد سمعت بأن سعدى لوحت بوفاء وعد الهائم الحيران

أم صرحت بوصاله وتنزلت من سفح مربعها الشذى النوراني

فزهت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الأظعان

وتعطرت أرجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها من الريحان

وأنارت الأحلاك إذ بزغت بها شمسا ينير بنورها القمران

خفض فديتك من غيور ما البكا طف لما في القلب من نيران

لا والمهيمن ما بكائي غيرة أو من شكاية لاعج الهجران

لاكن عظيم الذنب أثقل كاهلي فالقلب في صفد من الأحزان

بان من يكابد نفسه وهمومها وقواطع الآفات والخذلان

إن كان أعوزك الطبيب لدائها فاعمد بها للمصطفى العدناني

إكسير كل سعادة وهداية كنز المعارف غنية اللهفان

حب الرسول سفينة ترسي بها متهنيا في ساحة الرحمان

ما ان ترى في الكون أعجب منه في حل الشدائد وانمحاق الران

ناهيك من ترياق انقلبت به محن الزمان لطائف الإحسان

وإذا سقيت بكأسه طابت حيا تك بالنعيم الدائم الروحاني

وتنعمت منك العوالم كلها رغدا بلا نكد وسوء هوان

فسرى بروحك لاتحاد تآلف لورود منهله بلا خسران

أغنى الورى المغني لمن رام الغنى وهو الممد لسائر الأكوان

والمشرق الأعلى المفيض لكل ما اقتبسوا من الأنوار والعرفان

في عالم الأرواح أعطى الأنبيا والرسل ما نالوه في الجسمان

لم يكمل الإيثار في الدارين في أحد سوى المختار من عبدان

فكلامه في الحشر رب أمتي إذ يذهل الرحماء عن ولدان

بل سائر الأوصاف فيه خوارق حجج على الأعيان والفتيان

عجز الصحابة عن بيان مفصح عن وصفه وهم من الفرسان

وأئمة اللسن البليغ وحائزوا قصب السباق بذلك الميدان

فتعطلت تلك البلاغة وانثنلوا خرسا من استعظام ذاك الشان

بل منهم من كان يحسر طرفه عن أن يشاهده على الإمعان

بهر البصائر منه باهر حسنه فأعجب لحسن قاهر سلطان

ومتى تنزل بعضهم للوصف فـ ـه و بنوع تقريب إلى الأذهان

ضربوا له الأمثال بالشمس المني ـرة وهو أصل النور واللمعان

إذ لم يروا في عالم المحسوس ما يفضي إلى المقصود في التبيان

أما الجمال الباطني فما عسى ان ينتقي من وصفه بلسان

بعد امتداح الله جل ثناؤه لحبيبه في محكم الفرقان

أثنى على أخلاقه فتعطرت كل العوالم من شذا القرآن

وانظر لما نقلوا عن الصديقة ال فصحى أبنت الصديق من إحسان

إذ فسرت خلق الإله افاده بعض المشائخ من ذوي العرفان

لم لا وباسم الذات أويد حسبك الل ه الإشارة فيه بالاكنان

فالزم محبته وسنته ولا تقنع لحال مخلط متوان

متشبع بالواردات منابذ صفو الشريعة مارق مفتان

فالوارد الوجدي إن هو لم يكن عن نهجه ضرب من الحرمان

يفضي إلى التلبيس والإفلاس والغ ي المبين ونزغة الفتان

فيمد صاحبه بكل غريبة من جنسه في العالم الظلماني

ورياضة المترهبين ونحوهم مما يثير الوارد النفساني

وعلوم أهل السحر والمتكهني ن ونحوهم من ذلك الخسران

وكذا الخوارق كلها ممن جفا سنن الهدى ومحجة الرضوان

ووساطة المختار فيه كفيلة لمن اقتفاه بنيل كل أمان

وبها يتم له الوجود ويرتقي لبقائه من بعض ما هو فان

وانظر إلى رؤياه بالإطلاق ما فيها احتلال تمثل الشيطان

وكذا مشاهدة البصيرة يقظة بل تلك تفضل ما ترى العينان

فالفوز مضمون يقفو سبيله للسالك المتوله الحيران

جمعت شريعته الكمال ونور حصن رته حمى الاتباع من عدوان

حجب العقول بسره عن خوضها في الذات فانكفت عن الطغيان

وهدى الورى بسياسة نبوية لم يكشف الأستار بالإعلان

لاكن أزاح سحائب الآثار عن أبصارهم وتحاجر البحران

سلموا من أوحال الحلول وما به ظل المخالف للهدى الحقاني

ألقوا زمام الاقتدا لشرعة ال مبعوث عين الرحمة النوراني

أقوى البرية في العلوم بأسرها روح البصائر منبع الإيمان

لم لا وبضعة قلبه ملئت من ال إيمان والسر الرضى الرباني

إذ شق عنه لذاك ما زاغ البصر إذ شاهد الآيات من رأي عيان

ورأى أمر الآيات في الملكوت من ورته عروس الملك والأكوان

ولذاك أيضا كان أشجعهم وأث بتهم وأعلاهم بكل مكان

أنظر إلى جبريل لما ان وقف خرق النبي النور دون توان

أما إذا حمي الوطيس فإنه ترس الكماة وأشجع الشجعان

ولقوة الإيمان سار على الهوى   فبقدرها يرقى أخو الإيقان

ويكاشف الصوفي حتى ينتهي   أيضا لقاب القوس وصل تدان

لكن سر المختار كان بذاته   والغير بالأسرار لا الأبدان

ورقيه بالذات من جرا لطا   فته كما الأملاك لا الإنسان

والشق فيه إشارة فعلية   للتأهب المختار للقيان

وهو التخلي والتحلي بعده   وبقدر ذاك يكون ذا بوزان

فعن السوى فتخل تظفر بالمنى   بل فوقها مما ورا الحسبان

هذا وقلب المصطفى متطهر   لكن ذاك سنة الديان

فلذا المشرع بالفعال وبالمقـ   ال أبان إعظام اللقي الدان

مثل التطهر للصلاة لمن على   طهر وما ينمو على الأركان

وكذا التنزين بالثياب وسورة الـ   أعراف فيها أوضح التبيان

أما التجلي غالبا فيكون من   بعد التحلي من حلى الإيمان

أنظر إلى الوحي المنزل قد أتى   من بعد غط مجهد روحاني

والغط تدريج وتهيئة له   لتحمل الأعبا من القرآن

فالضم يحدث قوة نورية   ملكية في باطن الإنسان

وانظر إلى المحكي عن بعض المشـ   ـائخ من ذوي التحقيق في ذا الشان

إذ جاءه الفقهاء يمتحنونه فدعا رويعيا من الرعيان

فأمداه من سره إذ ضمه فأجابهم عنه بحسن بيان

وأجاد ثم أجاب عما أوردوا من بعد ذاك مكافحا بسنان

حتى تقصفت الرماح لديهم واستفحموا في ذلك الميدان

واشتفه إذ ضمه أخرى وأب قاه بلا علم كما العميان

لا غرو فالموروث للأتباع من إمداده التقليب للأعيان

من نوره خلق الإله الخلق فه و الأصل وهو الفرع حيثيتان

حيثية النهاية ما أفي ض على حقائق هؤلاء الأعيان

وبوصف الأولى كان أرسل للجمي ع وءادم في الماء والأطيان

وله بالأخرى من جماع فواضل ال فضلاء طرا أوفر السهمان

ولعلمه وكماله الجمعي ع ين آخرا في بعثه الثقلان

يا من تفرعت المكارم جملة عن جوده هبة من المنان

يا من غدا أصل المحاسن كلها فذا وحيدا ماله من ثان

إنسان عين الفضل والفرد الذي خص الكمال به من الإنسان

يا قطب دائرة الوجود وسره بل روحه يا صفوة الرحمان

أنت الحجاب لحضرة المولى وواسطة الورى في فيضه النوراني

مرآته الكبرى ومجلاه الأجل فمن رآك رآه عن إيقان

بشهوده لجلاله وجماله ولذاته بالسر لا البرهان

أبرزت مخلوقا بصورته وجل الله عن تشبيه أو نقصان

أنت الخليفة ما أردت يرد ومهمى لم ترده فليس في الإمكان

هذا عبيد سائل متوسل بزمامكم اولوه عطف حنان

يرجو القبول لديك والإقبال يا من يرتجى للعفو والغفران

في القلب أمراض يشب ضرامها مضض من الأسواء والأشجان

ما لي سواك وسيلة لله ثم سليل روحك غوثنا الصمداني

شيخ الحقيقة والطريقة من غدا نور العيون وعين نور الآن

صبح الظلام وحلي نحر عاطل ملك المعارف فارس الميدان

شيخ الجلالة شاذلي زمانه فرد الأوان وسيد الاقران

شيخي أبو الحسن بن أحمد من بدا في العصر شمس الأئمة الأعيان

أعلى من الدين المنار وأحييت آثاره بعهاده الهتان

ذو همة فعالة وعزيمة صوالة كالسيف يوم طعان

وله المكرمات البواهر والتقى والعلم ليس الخبر مثل عيان

أما الفراسة والكلام على خوا طر حاضريه فآية الرحمان

وله من التصريف أمر واضح لمداخليه بدا على الإعلان

هذا على أدب يحيل به الأمو ر على مشيئته ربه المنان

يا نجل الكرام أحمد يا علي علت بكم رتب سمت قدرا على كيوان

أنت الهمام الشهم يا ذا الهمة ال قعساء يا غوث الكسير العاني

أنت الجواد متى يعد الجود ما كعب وما هرم وما البحران

إن كان يخرج منهما المرجان وال در النضيد فذا نفيس فان

فلكم ندى الأرواح بالعرفان بل ه الجود للأشباح بالألوان

أوما جلوت صفا القلوب بحكمة صمدية من سرك الصمداني

وغسلت من أدرانها وحبوتها علقا نفيسا غالي الأثمان

فسقيتها من خمرة نبوية أزرت بما أروت بخمر جنان

من ذا يباري البدر في مجلاه أو يرتاب في شمس سوى العميان

بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا مداد في الاسرار والإعلان

أحييت رسم الدين بعد دروسه وخبو نور الحق بالطغيان

ونصبت مرفوع الدعائم من هدى خفضوه بالدعوى مدى أزمان

وبسرك انصلحت عصائب صقعنا ال سوسي من قاصيهم والداني

وبك المعارف والحقائق تجتلى صرفا على رغم الحسود الشاني

قلدت أعناق الرجال أولي النهى منها عقود الدر والعقيان

ماذا وراء النفع يطلب شاهدا بجلالة التخصيص للأعيان

هذا الإمام العارف الفاسي أبو زيد من الغر الكبار الشان

قد قال إن شهود نفع الناس من أهل الولاية واضح البرهان

بصميم ما منحوا من السر الذي خص الإله به ذوي العرفان

ولقد سمعت بشارة من شيخكم العارف الأسنى أبي عثمان

قد قال إنك في مقام الشيخ غوث زمانه الجمل الرضى العمراني

هذا إلى ما جاء عن أهل البصائر غيره فيما لكم من شان

يا من عليه الباب مسدود أنخ واحطط رحالك في هنا وأمان

خيم بباب الفضل والكرم الذي من حل فيه ثوى أعز مكان

في حضرة قدسية نبوية هذا علي بابها الرحماني

فإذا الخطوب عدت عليك وأرجف الـ عادي وأشمته انقلاب زمان

فاعطف لمن ألقت مقاليد الوجود له وملك سائر الأكوان

هذا العماد وذا السناد وذا الغياث وذا حمى المستضعف الولهان

هذا الذي ما أمه ذو عسرة إلا وباء يحفه اليسران

هذا الذي تعنوا وجوه العارفين لنور طلعته كما السلطان

فإذا أفاد العلم فهو الشاذلي أو فاض بالأحوال فالجيلاني

آخاد أفئدة بعزم همة من هم فيه غدا مقود عنان

يصطاد أرباب القلوب لحضرة الـ محبوب مغنى الروح والريحان

شرفا وفخرا باذخا للغرب من شمس المعارف والهدى الرباني

بزغت به في (إلغ) ما أدراك (إلغ) لقد أربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتك الألى ورثوا أثير المجد عن أعيان

سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ طيار جعفر أكرم الفتيان

نسب عليه من الجلالة رونق بادي السنا لبصائر الإيمان

ربي بحرمته أنلنا المبتغى من فيض جود الواهب المنان

وبكل شيخ في الطريقة ينتمي قلبا إلى النبي العدناني

فبشيخه القطب الهمام المرتضى العارف الأسنى أبي عثمان

روض المعارف لا يمل جليسه مما جنى من جنة الرضوان

ما شئت من لطف وحسن سياسة وفراسة وتأييد رباني

ربى الشيوخ وهذب الأخلاق من أهل الرسوخ نجوم هذا الآن

عن شيخه الأحظى الإمام العارف الـ أرضى أبي العباس عالي الشان

ذاك ابن عبد الله في (مراكش) وكر المعارف نجعة الفتيان

عن شيخ البدر المنير الفائض ال مدد الغزير ونخبة الأعيان

شيخ الشيوخ القطب عارف عصره ال عربي بن أحمد غنية الظمآن

فرد من أفراد الكمال وكعبة للسالكين بمنهج العرفان

كهف المريد وملجأ الفزع الطري د وصاحب التصريف والسلطان

مغمور أنوار التجلي دائما فاعجب لصاح في الهوى سكران

أهل البصائر مطبقون على خصو صية له شاعت بكل مكان

طارت بها الأقطار في شرق وفي غرب فيا شجو الحسود الشاني

وله مقام الجبر والكسر إنتهى بكرائم تغني عن التبيان

أجلى من الشمس المنيرة في الضحى بتواتر وتناقل الركبان

ممن يدل على الإله بحاله وفعاله ومقاله النوراني

أسنى الوسائل للمريد كتابه ال مسمى الرسائل شمس هذا الشان

يهدي إلى سنن السلوك يبين عن كيفية التجريد والإيقان

وطريقه قفو الكتاب وسنة والذكر والذكرى مع الإخوان

والذل في كسر النفوس وطرحها في زي كل محقر ومهان

والترك للتدبير والدعوى وما يسم الفقير بوسمة الخسران

من منكر أو بدعة وتهور في حال أو لغو من الهذيان

لا تنس من أشباله وصحابه زهرا نجوما في سما العرفان

فله تخرج ما يفوت حسابه من كل شيخ راسخ رباني

آل النبي عليه ألف تحية أهل لفضل جل عن حسبان

وله مشائخ من أكابر جلة لاكن معوله على العمراني

أعني به الجمل الملقب بالجما ل لدى الكرام ملائك الرحمان

شيخ الطريقة منبع العرفان وال غوث الهمام وفارس الفرسان

بحر المعارف حاتمي العصر في التوحيد والتحقيق والإتقان

من أجل أشياخ الطريقة خاضعا متواضعا متسربل الأحزان

بتقشف وتخشع وتوحد وتجرد في السر والإعلان

فتراه في ذكر ودائم فكرة مستعبرا في غالب الأحيان

متبريا من كل دعوى حائرا ومنفرا عن فرقة الطغيان

متقيدا بالشرع في الأحوال لا يعدوه مجموعا له الضدان

كالسكر والصحو الحقيقة والشر يعة من تأيده التقى البحران

أقوى من الحرسي في استغراقه أبدا برؤية سيد الأكوان

وبنفس ما في البال يخطر حاضرا يلقيه بين يديه رأي عيان

متلقيا للعلم منه ويحضر من صحبه من بشروا بجنان

تلك المكارم والمآثر والعلا والفضل لا قعبان من ألبان

صحب المشائخ لاكن أكثر ما امتلا منه الوطاب وزاد في العرفان

من شيخه العربي بن عبد الله ذي السر الكبير سلالة الأعيان

الكامل العرفان ذي التحقيق والحكم الغزيرة والهدى الرباني

عطشا تولد وانتشى متأدبا متحليا بتلاوة القرآن

متجليا مظاهر العرفان وفق إشارة اليمني فيه بشان

ما كان يركن للعلو وكان يجنح للخراب مخافة الخذلان

وله المهابة في قلوب الناس وهو من الخمول وحبه بمكان

وله عظيم الصمت لا يلغو ولا يلهو ولا يصبو إلى خسران

وله مواجد والتأثر بالسماع وكان متطبعا من الألحان

وله العجيب من الكلام على الطريق أبان فيه مسالك الرضوان

جم المعارف واللطائف باهر الأسرار ذو التصريف في الأكوان

ناهيك ما نقلوا عن الجمل الرضى إذ قال عنه أوصل النصراني

من حينه بله الجفاة وذاك لمن غلب من الأحوال في فيضان

لاقاه عن قصد التبرك من أيمة عصره التودي والتجاني

والعارف ابن عجيبة قد أثبتا للشيخ أخذ طريقة الجيلاني

من سيدي اليمني أحمد وانتمى للشاذلية فالتقى البحران

فيه وعمدته طريقة الشاذلي فقيض منهله من العرفان

عن شيخه وأبيه أحمد نجل عب د الله نور الله ذي اللمعان

العارف الجبل المفاض عليه من نور المحبة أوفر السهمان

والانس بالله الغني والاكتفا بالله والتحقيق والرضوان

ملأ القلوب جلالة ومهابة ومحبة بالحس والإحسان

وسقاه من شرب المحبة ربه كأسا دهاقا غالي الأثمان

أفناه عن نفس وحس غائبا في الحق مجموعا بلا فرقان

مصبوغ هوية وكل عوالم من نور توحيد على الايقان

وعليه من حلل البهاء سمات ما المحبوب خص به من الحنان

وله الجمال اليوسفي فكيف لا يسبي النهى من نوره الفتان

وله التصاريف العجيبة في الورى من نحو أغناء وفك العاني

وتحمل الأعبا عن المرضى وتن فيس الكروب وقمع ذي عدوان

أما انصلاح قلوب من يغشاه بال أمداد فهو البحر ذو الفيضان

قد كان في أيام والد قلبه ال شيخ الخصاصي واضح العرفان

يهدي ويرشد ظاهر التصريف وال امداد بالأنوار للإخوان

وله معارف تبهر الألباب تن هض سامعا من غفلة الوسنان

مكسوة الأنوار يشرق قلب من يصغي له ويهيج كالنشوان

مما يروق من العبارة مخرجا مصداقها من سنة ومثان

تعنو النفوس لسطوة من سره وتجيبه طوعا كما السلطان

متواضع سمح كريم ملجأ للناس في الأزمات والأشجان

بر عطوف بالعباد يعينهم ويغيثهم في حلبة الأحزان

قالوا وقد صحب الشهير العارف ال مدعو أحمد شهرة بيمان

من بعد ما ظهرت معارفه على يد شيخه الشيخ الرضى الرباني

تلميذ والده وذلك قاسم لخصاصة يعزى من البلدان

والظن أنهما تحابا وانتحى الشيخ ابن عبد الله رفع الشان

لأخيه وانتهج التواضع نابذا زي التصدر واستوا الأقران

كان اليماني كاملا ومحققا متمكن التوحيد والعرفان

ومن الذين إذا رؤوا ذكر الإله وزال ما في القلب من أدران

ذا غيبة في الذات الأقدس باطنا جبلا رسا في ظاهر وعيان

يرعى الشريعة والحقيقة دائما يوفي حقوقها بلا نقصان

وسع الأنام سخاوة وتحلما وفتوة من سادة الفتيان

ذا العطف والود الصميم على الأما جد أهل بيت المصطفى العدناني

ذا رأفة بالمؤمنين خصوصا ال ضعفاء يؤويهم كما الخلان

ناهيك أحمد نجل عبد الله في نور البصيرة مرتضى الأعيان

قد كان من إجلاله وبروره في حالة عزت عن الأذان

وطريق ذا اليمني متصل إلى السلطان عبد القادر الجيلاني

أما المخاصي فهو أيضا عارف مستغرق التوحيد صب فان

قد كان بحرا ذا إشارات وإشرا ق وأذواق من الرحمان

وكلامه متنور ذو صولة مستملح يحلو على الأذهان

من سر سطوته وقوة نوره يرعى ولا ينسى مدى الأزمان

قد كان ينهض قائما متواجدا عند السماع بلذة الألحان

وإذا تأثر من مقول يستعي د المسمعين وزاد في الهيمان

ولربما صدرت يمين منه ان المصطفى فيكم جليس دان

وله كرامات وآيات وتص ريف وهذي سني رباني

أغضى عن الأكوان طرا زاهدا متمكنا في سنة العدناني

متوددا في آله ومعظما جدا لقدرهم الرفيع الشان

وله مشائخ ينتمي لجماعة منهم على التحكيم والاذعان

لاكن مخرجه ابن عبد الله وه و محمد ذو النور والعرفان

من كان طودا في المعارف شامخا ومعولا للأكابر الأعيان

ناهيك ما قال الإمام العارف ال فاسي أبو زيد من التبيان

إذ قال ما تحت السماء له نظير وه و مثل الشوك في الأطيان

يهدي لأخلاق الرسول مراعيا في كل أمر شرعه الرضوان

ومحببا للخلق في المولى بذاك ر جماله والخير والإحسان

ويحضهم لشهود توحيد وان الغير في محق وفي بطلان

ويقول إن الهمة العلياء تن جح في الطريق وغيرها لهوان

أن لا يبدل ربه بسواه من حظ ولحظ زائل ظلماني

ويقول بالأسباب من حيث الوج ود وغيبة عن كل ما هو فان

منها ومن علم ومن فتح وما يقضي به حس الوجود الداني

ويقول في معناه إن الإلتفا ت إلى وجودك أكبر العصيان

ويقول أصل الخير والأشرار في ال أصحاب فاحذر خلة الخلان

من أصلها وخصوصا المتفقري ن بعصرنا يعني ذوي الخسران

صحب الإمامين الكبيرين ابني ال فاسي يوسف نخبة الأقران

وأخاه وارثه جنيد العصر مج تهد الشريعة عابد الرحمان

وهو الذي ورث الأخير وكان بح را في العلوم وأفرس الفرسان

ذا غيبة في الحق إن يسأل تفض أمواجه في العلم كاليقظان

وله أواخر عمره انفردت إما مة ظاهر وإمامة العرفان

واحتاجت الأقوام وانقادوا له حتى أكابرهم مع السلطان

ورث الإمام أخاه يوسف من غدا مثل الغزالي آخر الأزمان

قطب الزمان وقدوة السلاك شم س العارفين وعين أهل عيان

علم الهداية زمزم الأسرار وال أنوار ملجأ الواله الحيران

محيي طريق القوم بعد دروسها وعفائها بتزلزل الأركان

متبحر العلمين من ألقت له ال أعلام والأشياخ كل عنان

وطبيب أمراض القلوب وحل مق فلها ومشكل حالها ببيان

أخذ الطريقة عن مشائخ ينتمي منهم إلى المجذوب وتد الأوان

العارف الصديق ذي التحقيق وال أنوار والأحوال والفيضان

ومحبة للذات ذو الامداد من ملأت خوارقه لكل مكان

وله مشائخ كان والد قلبه منهم علي الدوار ذو الدوران

مستهترا باسم الجلالة والها في غيبة وفنى عن الأكوان

العارف الشيخ الكبير الفائض ال مدد الكثير الدائم الهيمان

عن شيخه زروق ذي التحقيق وال تحرير في العلمين والاتقان

العارف الأسنى الإمام الصدر غو ث المستجير يسام بالعدوان

هذا وللمجذوب أشياخ سوى من مر يتصلون بالصمداني

شيخ الشيوخ إلى سليمان انتمى أعني الجزولي قدوة الأعيان

فله من الخطاب سر واضح فيه تمكن فارس الميدان

صدر الشيوخ القطب ذو الامداد لا تحصى خوارقه كبير الشان

تلميذ وارث حاله التباع من فاضت معارفه بلا حسبان

قطب الزمان وغوثه ذو الكيميا والسر عينا مشرب الفتيان

يعيى اللسان ولا يحيط بوصفه وسموه في رتبة العرفان

والعارف البحر الجزولي ينتمي للشاذلي سندا بلا نكران

من شيخه المدعو أمغار الصغي ر وكان أوحد تلكم الأزمان

عن شيخه يكنى أبا عثمان وه و سعيد المعروف بالهرتاني

عن نجل الياس إلى رجراجة ينمى وذلك عابد الرحمان

عن سيد الهندي أبي فضل عن البدوي عنوس من الرعيان

عن شيخه وهو القرافي أحمد ال شيخ الإمام عن الرضى الرباني

أعني أبا عبد الإله المغرب ي عن الإمام الشاذلي الصمداني

أو بين شيخ جزولة والشاذلي العجمي عبد العزيز الساني

في الجامع الأزهر في (مصر) وذا سند رووه عن الرضى الغزواني

لاكنه مستبعد بتقادم للشاذلي والخطب سهل دان

وكذاك زروق له سند إلي ه من ابن عقبة منبع الإيمان

العارف الأسمى الإمام الطيب ال أصلين نعم الفرع والأبوان

أخذ الأكابر عنه في (مصر) بها ألقى عصا التسيار وهو يمان

عن شيخه يحي الشريف القادري عن شيخه غيث الورى الهتان

القطب نجل وفي علي من غدا متسربلا للحسن والإحسان

بحر الحقائق ذو لسان الجمع وال فرق المؤيد بالسنا الفرقاني

نور تشعشع من نبوة أحمد صرفا بلا مزج من الغدران

ورث الإمام أباه وهو محمد وهو المؤسس مجدهم والباني

بحر تطلسم سره ما فكه أحد بغير قائد العقيان

من أكابر العرفان بل يعزى له ال ختم الذي للفذ ذي الكتمان

عن شيخه داوود وهو الباخلي شيخ الطريق إمام هذا الشان

عن شيخه ابن عطا الإله القطب في ال عرفان والتعبير والإتقان

وله اليد البيضاء في العلمين عذ ب الوعظ يجلو النفس من أدران

وكلامه متعطر متأرج يحلو على الأفواه والآذان

ناهيك في تنويره تنويره الك فذ البديع فما له من ثان

وكتابه الحكم الذي ما مثله إلا عقود الدر والمرجان

فتراه ما من ذرة إلا وفي ها درة بل من رياض جنان

عن شيخه المرسي أبي العباس قط ب العارفين مقلب الأعيان

حاوي الأسامي والحروف مع الدوا ئر جامع الأشتات في الأعيان

ناهيك أن لم يحتجب في لمحة مذ صار مجموعا على الرحمان

ورث الإمام الشاذلي وصار م تحلا به في سره الحقاني

علم الأئمة شيخ هذا الشان فا رسه المقدم قبلة العرفان

غوث الأنام القطب ذو العلم الغز ير الفذ فيه مبرز الاقران

بحر يطم معارفا ولطائفا بوراثة عن جده العدنان

ملأ البقاع وطبق الافاق من علم الحقائق والهدى النوراني

بوجازة وحلاوة وطلاوة لكلامه في سائر الأذهان

وجلالة ومهابة ما إن ترى في غالب لكلام أهل الشان

قد جاء من علم الطريق بما به لم يأت ديار من الأعيان

السابقين الأولين وبعض أهل الله فضله على الجيلاني

ناهيك ما يحكى عن المرسي في كشف عن الملكوت من لقيان

لشعيب الطود الشهير وقال نزا د الشاذلي علي في العرفان

فبأربعين من العلوم يفوقني من ذا يحيط ببحره الصمداني

وله من التصريف والانفاق من غيب كرامات على الاعلان

شأن المكمل رعي الاذن ولا تق يد عنده بظهور أو كتمان

عن شيخه ابن مشيش القطب الإما م الغوث الصدر الرضى الرباني

سلك الطريقة طفلا ابن السبع وان كشفت له الخيرات كشف عيان

مثل الجبال وبعد ذلك ساح من تا بعد عشر دائم الجولان

وأقام قطبا عدة العشرين عا ما وهو قدوة أوليا الرحمان

ومتى يصلي خلفه صلوا من ال أقطار نسوتهم مع الذكران

ذو جذبة يرقي المريد إذا تج رد صادقا من علمه النفساني

لم تبد منه كرامة ولذاك يد عى راسيا جبلا كما ثهلان

وله كلام في الحقائق باهر ال أنوار من ثمر النبوة جان

وله الصلاة على النبي المشهورة ال أسرار والفتح الرضى الرباني

وضريحه مغشى الأكابر عنده تجلى عروس الإذن للأعيان

وبه من الامداد للزوار ما يقضي به استعداد ذي الإيمان

عن شيخه المدني مولانا أبي زيد يسمى عابد الرحمان

عن شيخه شيخ المشائخ عين الأع يان الشهير شعيب الصمداني

يدعى أبا مدين من خاض البحا ر ونال الأسرار العظام الشان

أما التوكل بالخصوص فلا يدا ني فيه مبلغه الرفيع مدان

ذو البسط عن علم وقبض عن مرا قبة علي الكعب في العرفان

قد كان خرج ألف تلميذ وكم لهم لديه كرامة بعيان

وله مشائخ مثل سيدنا أبي يعزى وعبد القادر الجيلاني

لاكن عمدته ابن حرزهم عل ي الإمام الجامع الرباني

عن شيخه يعزى إلى العربي أبي بكر محمد الفقيه الساني

عن شيخه القطب الغزالي من يكـ ل عن الثناء عليه كل لسان

عن شيخه وهو الإمام يضاف للحرمين فخر العلم والتبيان أشرف البلدان

عن شيخه وهو الإمام يضاف للحرمين فخر العلم والتبيان أشرف البلدان

عن شيخه أعني الإمام يضاف لل حرمين حاوي الفخر بالبرهان

وفيه تورية بكتابه المشهور في الأصول المسمى بالبرهان

عن شيخه أبي طالب المكي عن قطب العلوم جنيد البغداني

هذا الذي يعزى إلى جمع من ال أشياخ وانتقدوه بالبطلان

لتأخر المكي عن زمن الجني د فقيل أخذه عن أبي عثمان

المغربي عن الزجاجي الذي يكنى أبا عمر فذان إثنان

ثم الجنيد وجاء في سند الفتى ال مكي وجه عن ذوي الاتقان

مضمونه أخذ الفتى المكي عن أب سالم عن سهل الرباني

ثم الجنيد عن السري السقطي ذي الحال السنية سيد الأقران

عن سيدي معروف الكرخي عن الطائي داوود استمع لبياني

عن سيدي العجمي حبيب عن حسن بصريهم عن قدوة الفرسان

زوج البتول عن الرسول صلاة ربي والسلام عليه بالرضوان

للآل والأصحاب والتباع في ال إيمان والإسلام والإحسان

والحق أن الحجة القطب الغزالي ما انتمى لحجة العرفان

حتى توفي شيخه المذكور وهو أبو المعالي بعد طول زمان

فغدت به نسمات توفيق وقام إلى تطلب منهج العبدان

ونحا فتى فارمد متصلا به وهو إنتمى في الأخذ للكركاني

وهو إنتمى للقطب سيدنا أبا الحسن الإمام العارف الخرقاني

وهو إنتمى لأبي يزيد وإن تأخر عنه فاستمداده روحاني

وهو إنتمى أيضا كذلك لروح جعفر المسمى الصادق الرباني

وهو إنتمى لأبيه عن أسلافه وبجده للأم وجه ثان

وهو الإمام القاسم بن محمد وهو إنتمى للفارسي سلمان

أعني الصحابي عن أبي بكر هو الصديق خير الورى العدناني

وهنا طريق آخر للعارف الكركاني أخذه عن أبي عثمان

المغربي عن أبي علي الكاتب الأسمى يليه الروذباري الساني

عن إمامه وهو الجنيد إلى التمام وذاك معروف بلا نكران

تنبيه اعلم أن تربية الذي قد مات أبلغ في سنا العرفان

إذ حل دأبا في بساط الحق فالامداد منه لغيره حقاني

صرف على حسب المدد لذاك خص بكل أكبر سالك نوراني

فهو القوي عليه محلا دون ذي الحجب الكثيفة والصدى الظلماني

فسلوكه يحتاج فيه لحي يسايره بتدريج على الإمكان

والفرق بعد تناسب الأشباح والأرواح في هذا الفريق الثاني

والفرقة الأولى الأويسية إنتموا لأويس القرني الشهير الشان

إذ ما إلتقى إلا بروح المصطفى دامت عليه تحية الرحمان

فجميع من ربته روحانية يعزى له في عرف أهل الشان

وحذار من دعوى انخراطك فيهم إلا بكشف ساطع رباني

أما انتسابك دونه فتبرك وتودد وتعلق جثماني

لم يخل عن نفع وذلك في الحقيقة من تواصل صالح الإخوان

أما التقا الأرواح واستمدادها من بعضها في العالم الروحاني

فوراء هذا الحس وهو من الغيوب فيراه صاحبه بلا نكران

أما السلوك بدون شيخ مطلقا بشروط وتوفر الأركان

فالخلف في إنتاجه وحذار تحسبه التقي في السر والإعلان

هب أنه يرقى فكم من تائه حسب الرشاد وضل في الحسبان

حصن السلامة صحبة الهادي فلا تركن إلى طرف من الخذلان

فاسلك على يد عارف يطوي بك الأغوار والأنجاد بالطيران

إن العدو بمرصد لك في المجاهل والمناهل لا تثق بأمان

يلقيك في ليل الخيال تخاله الكشف الصحيح وأنت في هيمان

ولربما ألقى اللعين وما شعرت عليك علما واضح التبيان

يحويك باستدراجه وهذه منك غرور ظنك أنه رباني

وهناك أخطار وآفات تدق عن البصير فكيف بالعميان

هذا وأيضا بابن عقبة منهج للشيخ عبد القادر الجيلاني

من شيخه يحي المقدم عن ظهير الدين والده من الجثمان

عن أبيه أحمد عن عماد الدين عن نصر هو الشيخ الرضى الرباني

فخر الأفاضل قدوة الأشياخ في ال علمين خرج عدة الفتيان

عن عابد الرزاق والده الإما م جمال الأمة قدوة الأعيان

أهل الولاية عن أبيه الشيخ عب د القادر الجيلي إمام الشان

من خامرت ألباب النهى منه المحبة سائر الأزمان

ماذا عسى أثني على شمس الضحى من ذكره كالماء للظمآن

من ذكره تشفى القلوب وتنتفي منها الكروب وأزمة الأحزان

ملأ الصدور مهابة ولسره مدد قوي دائم الفيضان

متمكن الأقدام ذو الأقدام وال دعوى بحق واضح البرهان

شهم شجاع كل شيء يستطي ل عليه عن تمكينه الرحماني

في عصره كان الرجال جميعهم في حكمه يتأيد رباني

وطريقه تجريد توحيد مع الت سليم للإقدار والإذعان

ولزوم إخلاص وقفو شريعة وإقامة بمراكز العبدان

لله لا سبب ولا من علة في غيبة عن سائر الأكوان

عن أبي سعيد شيخه عن سيدي الهادي أبي الفرج الرفيع الشان

عن شيخه بدر الدجى الشيخ المج د وهو عبد الواحد الرباني

عن شيخه الشبلي عن الشيخ الجني د عن السري النور ذي البرهان

عن شيخه معروف الكرخي عن ال مسمى الرضى الحلو الجني للجاني

أعني عليا عن أبيه الكاظم موسى الإمام الغوث للهفان

عن أبيه جعفر المسمى الصادق ال حبر المقدم قدوة الأعيان

عن أبيه يدعى باقرا ومحمدا حبر القرآن وسنة العدناني

عن أبيه زين العابدين علي ال طود الشهير السر ذي الكتمان

عن أبيه وهو حسين السبط الشج اع مكافح الأبطال يوم طعان

عن أبيه باب مدينة العلم الرس ول يليه عن جبريل فالرحمان

وكذلك لابن مشيش سلسلة إلى ال أقطاب تنسب للنبي العدناني

من شيخه المدني عن القطب التق ي هو الفقير بعده الرباني

القطب فخر الدين ثم القطب نو ر الدين ثم التاج ذي العرفان

فالقطب شمس الدين ثم القطب زي ن الدين من قزوين في الأعيان

فالقطب إبراهيم وهو المنتمي للبصرة أنظم سلك ذا العقيان

بالقطب يدعى أحمد المرواني ث م سعيد القطب السعيد الساني

فالقطب أي فتح السعود وبعده سعد فخائر مفخر الأقران

نجل لعبد الله جابر الرضى عن شيخه ريحانة الريحان

سبط النبي عن الإمام أبيه عن خير البرية سيد الأكوان

والبعض في الترتيب خالف ثم في زيد لبعضهم أو النقصان

والخطب سهل لإحتمال الأخذ ع من فوق من ذكروه في التحتاني

أو روح من ما كان في قيد الحيا ة ولا غرابة فيه في ذا الشان

ربي بعين الرحمة المهداة صف وة خلقك الهادي إلى العرفان

وبهم خصوصا شيخنا القطب الهم ام العارف المتمكن الصمداني

إرحم عبيدك رحمة تمحو الذن وب وتكشف الحوبا مع الأدران

واعطف عليه بقلب عبدك شيخه وقبوله والود والرضوان

وارزقه معه تأدبا وتوددا وتوحد المعنى بكل أوان

إن كنت مقبولا فيا سع د الأهل والأولاد والإخوان

والظن بالكرما قبول تطفل ال متطارح المتوجع اللهفان

يا أيها الشيخ الذي من فيضه شعر العيي وفاه بالأوزان

أبقاك ربك هاديا وأدام س را في بنيك لآخر الدوران

لولا انبساط الفضل ما كان إتساع القول من مثلي على إمكان

لازلت رافع راية العرفان مغبوطا ومحمودا بكل لسان

متعطر الأرجا بكل بديعة تزهو بوصفك عن نثير جمان

وعلى النبي تحية تهدى عبير المسك تخجل روضة الريحان

والآل والأصحاب ما هب صبا مترنحا من ذكر أهل البان

والسلام ... كتبه الضعيف محمد بن مسعود الطالبي لطف الله به.

وقال رحمه الله في مدح الشيخ ماء العينين

بدا طالعا في السوس فاهتز طاربا لطلعته وفاح من عصره ينشي

غدا هاجرا لبلدة الكفر ناصرا فهجرته للدين يا حبذا الهجر

فشمر إمام الدين عن ساق حازم لتجبر في الإسلام ما هاضه الكفر

...

كما الشيخ ماء العينين شيخ مشايخ ال زمان ضياء الدين غار له الفجر

غدا هاجرا لبلدة الكفر ناشرا فهجرته للدين ، يا حبذا الهجر

فشمر إمام الدين عن ساق حازم لتجبر في الإسلام ما هاضه الكسر

...

المصادر:

الشعر العربي بسوس الحسين أفا ط.

المعسول المختار السوسي ط.

سوس العالمة له ط.

الترياق المداوي باخبار الشيخ الالغي ط.

ديوان الشيخ الالغي تحقيق: عبد الوافي المختار السوسي. ط.

معجم البابطين لشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ط.

مصادر لم أقف عليها:

مجاميع أدبية لأدباء سوسيين: الخزانة الخاصة للعلامة محمد المختار السوسي بالرباط: المكلف بنشر تراث والده رضى الله عبد الوافي المختار السوسي.

مجموع يضم: التصدير والتعجيز لبانت سعاد/ محمد بن مسعود المعدري

التصدير والتعجيز للبردة للإمام البوصيري وبعض التقييدات/ محمد بن مسعود المعدري:

المخطوطة الأصلية بخط الخزانة الخاصة للعلامة محمد المختار السوسي بالرباط: المكلف بنشر تراث والده رضى الله عبد الوافي المختار السوسي.

كناش محمد بن مسعود المعدري مخطوط بالخزانة الأسرة المعدرية بسوس

مترعات الكئوس في آثار طائفة من أدباء سوس ط.

جوف الفرا (مخطوط)

محمد أحيا الطالبي محمد بن مسعود المعدري حياته وآثاره العلمية ط وزارة الاوقاف

معارضة البردة للمعدري: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق إقليم أكادير 2006

نظم رسالة الدردير في البيان للمعدري: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق إقليم أكادير 2007

أرجوزة في نظم السمرقندية للمعدري: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق إقليم أكادير 2007

التصدير والتعجيز لقصيدة البردة البوصيرية: محمد بن مسعود المعدري: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: 86/1983 تزنيت

خطبة الاستسقاء للمعدري مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: 4/2005 أكادير

قصيدة في مدح ماء العينين وقصيدة في مدح أحمد بن أمغار للمعدري: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: 5/2002 أكادير؛ ومنها نسخة مخطوطة بحوزة ذ. محمد الحاتمي زوده بها ذ. عمر بازهار.

المعدري: أولياء الله اني مريض ...

قصائد وامداح نبوية لمريدي الطرق الصوفية بصير عبد الحق ط.